تاريخ الفن الاسلامي

المرحلة الثالثة

قسم الفنون التشكيلية

من اجل تكوين تصور شامل عن الفنون الاسلامية لابد من تعرف طبيع الفنون قبل الاسلام ولو بقرون عديدة ، لذلك فإننا سنتطرق الى الفنون في الجزيرة العربية وسنأخذ منها (الحجاز) ، والعراق ، وسنأخذ منه فنون الحضر وفنون الحيرة ، فضلاً عن بلاد الشام ، وسنأخذ منه فنون الانباط وفنون تدمر ..

أولاً. الفنون في الحجاز :

يدعي المستشرقين عدم وجود أية معرفة للفنون لدى العرب قبل الاسلام ببعض القرون ، وقد أثبتت الحفريات بطلان هذا الادعاء ، كما أن للجزيرة العربية موانئ وتواصل مع العالم الأمر الذي يجعل وجود مظاهر للتمدن فيها أمراً ممكناً ، إذ أن تلك المظاهر قد تؤشر وجود عمارة وفنون أخرى ملحقة بها أو مكملة لها على أقل تقدير .

إن الكعبة كمكان مقدس عند العرب قبل الاسلام وبعده ، هي كبناء معماري أعيد بناءه لأكثر من مرة بشكل جزئي أو كلي ، ويشير (الأزرقي) أن الكعبة كانت جدرانها مزينة بصور للأشجار وصور للأنبياء ومنهم النبي ابراهيم عليه السلام بهيأة شيخ يستقسم بالأزلام ، والنبي عيسى بن مريم عليه السلام وأمه ، فضلاً عن صور للملائكة ، ويوم دخول المسلمين مكة عندما فتحوها أرسل النبي محمد صلى الله عليه وسلم الفضل بن عبد المطلب وأمره بإزالة جميع الصور إلا صورة واحدة وضع يده عليها وهي صورة النبي عيسى بن مريم عليه السلام وأمه ، فقال للفضل : (إلا هذه ما تحت يدي) ، وهذا دليل على وجود فنون للعرب قبل الاسلام .

كان العرب يعبدون الأصنام والأوثان ولهم أكثر من (٣٦٠) إله يعبدونه ، وبأسماء مختلفة يضعون في داخل الكعبة كل سنة تماثيل للآلهة التي يعبدونها أي كل قبيلة تضع كل سنة تمثال للإله الذي تعبده ، يعد أداء الحج ليكون شاهداً على أنها أدت الحج ، وقد كانوا يستوردونها من الخارج ، ثم أصبح هناك متخصصون بصنع هذه التماثيل من أجل التكسب ، وأصبحت الصناعة لها محليته ، فعندما تصنع من الاحجار تسمى (الأوثان) ، وعندما تصنع من مادة ذات قيمة من غير الحجر كالذهب والفضة والخشب تسمى (أصنام) ، يضاف الى ذلك أن هناك من أورد بأن للعرب مصورات

كانت مرسومة على الخيام والسيوف والأقداح ربما كجانب جمالية تزين كل هذه الأشياء التي يستعملونها في حياتهم .

ومما يؤكد صحة هذا التوجه ويدحض زيف ادعاء المستشرقين هو اكتشافات أول بعثة تنقيب اثارية سنة ١٩٥٢ في قرية الفاو جنوب غرب مدينة الرياض بمسافة ٦٨٠كم ، ثم اكتشافات البعثة الثانية سنة ١٩٧١ ، إذ كشفت عن وجود ثرية هي (الفاو) على عمق (٢-٤) متر مجتمعها متمدن وغير بدوي ..

*** العمارة :**

- بنيت المنازل على وفق نسق متجانس ومن الآجر واللبن .
- جدران المنازل طليت بالجص الناصع البياض من الداخل والخارج .
- وجود شبكة من الشوارع المستقيمة في القرية .
- تبنى الوحدات السكنية بشكل قطاعات طويلة .
- أغلب المساكن تبنى بطابقين يكون الأعلى للنوم والأرضي للمعيشة والنشاطات الأخرى ، كما وجد أنها احتوت على المواقد والرحى والمطابخ .

*** الفنون :**

- وجدت رسوم ملونة على جدران بعض المنازل ، وتمثل هذه الرسوم مشاهد للصيد والرماية والقتال ، وكانت بمثابة لوحات جدارية ملونة .
- تماثيل صغيرة ذات طبيعة متأثرة بما كانت عليها التماثيل آنذاك في المغارات الأخرى وهي تماثيل حجرية أ معدنية .
- أعمال نحتية من المرمر فيها تأثير الحضارات آنذاك ذات مضامين دينية واسطورية .
- عثر على أدوات فخارية :

  أ. بعضها أطباق وقوارير .

  ب. أخرى ذات أشكال مختلفة ومزججة كالأواني والكؤوس .
- أدوات مصنوعة من النحاس والبرونز والحديد .
- أواني مصنوعة من الفضة والذهب مختلفة الأحجام .
- أقراط وحلي للنساء وأدوات زينة كالمراود والدبابيس .
- بعض المسكوكات التي عثر عليها يعود تاريخها الى القرن الرابع الميلادي .

ثانياً. الفنون في الحضر - العراق :

تبعد مدينة الحضر (١١٥كم) جنوب غرب مدينة الموصل فتقع على الثرثار ، وهي مدينة مدورة قطرها بحدود (٢كم) يحيط بها خندق عميق ، فضلاً عن سور فيه (١٦٣) برج للدفاع عنها وقلاع ، والسور عبارة عن جدارين كل منهما بعرض (٣م) والمسافة التي تفصل بينهما (١٢م) وتسمى باللغات القديمة (عربايا) .

*** العمارة :**

- استعملت الحجارة المهندمة كمادة بناء يربط بينها الجص .
- وجود أيوان في جميع الأبنية والقصور والدور وهو أحد أوجه الضخامة والوجاهة وأشبه بـــ(البهو) .
- يتم تغطية السقوف لحمايتها من الحرارة ومياه الأمطار .
- زينت واجهات الأواوين بتكوينات هي عبارة عن تماثيل منحوتة على الأقواس وبشكل زخرفي .
- التماثيل تمثل :

أ. أشكالاً اسطورية .

ب. أشكالاً هندسية ونباتية .

ج . رأس التنين ورأس الرمح والحبل المبروم .

*** المعابد :**

- يعد المعبد الكبير في الحضر أشهر المعابد لعبادة الشمس .
- الاله (مرن) هو إله الشمس ويمثله رجل مسن حول رأسه هالة مشعة وفوق جبينه طوق ذو قرنين .
- امرأته يمثلها تمثال لامرأة فوق رأسها هلال يرمز للقمر .
- ابنه (برمرين) ويمثله تمثال يجمع بين صفات الاثنين .

*** النحت :**

عثر على منحوتات كثيرة جداً لهذه الفترة في المعابد وكما يأتي :

- تماثيل لحكام ورجال دين وقادة الجيش .
- استخدمت في صناعة التماثيل مواد مختلفة كالحجر والنحاس .
- تماثيل الأشخاص غالباً تنحت بالحجم الطبيعي أو أكبر بقليل .

- التماثيل واقفة تحيي الالهة .
- يستدل على المكانة الاجتماعية لصاحب التمثال من ملابسه فضلاً عن وظيفته في الدولة (الفارس يحمل السيف) مثلاً .
- الاله يكون تمثاله حافي القدمين يحمل بيده اليسرى إناء للبخور .
- أهم ميزة في البحت المجسم الحضري هو أنها أشبه بالنحت البارز ولا يهتم النحات بظهر التمثال لأنه يلصقه بالجدران .
- من المنحوتات المهمة هو طائر النسر لأنه يمثل الاله (مرن) .
- تنحت النسور بشكل بارز أو مجسم تزين صدورها القلائد .
- وضعت تماثيل النسور في بوابات المدينة .
- رايات الحضر نحتت أو رسمت على جدران المعابد كونها ترمز الى الصمود .
- النحت الحضري يمكن تصنيفه في ثلاثة أدوار .

أ. دور نشوء الحضر .

ب.دور السادة .

ت.الدور الملكي .

*** خصائص النحت الحضري :**

وضع المختصون الخصائص الآتية للنحت الحضري :

- أسليب النحت رومانية ويونانية قديمة .
- عدم مراعاة النسب وضعف إظهار البعد الثالث .
- المبالغة في استخدام الحلي وزركشة الملابس .
- لم يعتني النحات بظهر التمثال كونه سيلصقه بالجدار .
- النحت البارز يمثل مشاهد دينية بينما التماثيل المجسمة يظهر عليها النبل والكبرياء مع رفع اليد اليمنى تحية للآلهة .

*** الرسم :**

وتميز الرسم الحضري بالنقاط الآتية استناداً الى ما عثر عليه في رسوم منفذة على جدران المعابد :

- نفذت بشكل بدائي يغلب عليه الطابع الهندسي ورسوم أخرى اهتم الفنان بمراعاة النسب .

- رسم الأشخاص أما شخص واحد أو عدة أشخاص وبوضع الاضطجاع يستند كل منهم على يده اليسرى الى وسادة .
- نفذت على جدرا المعابد صور للآلهة ترتدي ملابس طويلة ذات طيات وفوق رأسها تاج .
- رسمت مشاهد الصيد وهي عبارة عن صيادين يحملون عدة الصيد .
- صورت مختلف الحيوانات كالأسد والغزال والخنزير واللقلق ، فضلاً عن الحيوان الرئيسي وهو طائر النسر .
- رسمت زخارف بنائية ومعمارية وأشكال لدائرة البروج (الأبراج) .
- رسمت الرايات الحضرية .

ثالثاً . الفنون في الحيرة :

تقع الحيرة في الجانب الأيمن لنهر الفرات الى الجنوب من مدينة الكوفة ، وهي أقدم مدينة عربية في العراق ونشأت مملكة الحيرة في القرن الثاني قبل الميلاد وحتى القرن السابع الميلادي ، حيث سقطت على يد المسلمين سنة ٦٣٢م .

*** العمارة :**

يعد كل من قصر الخورنق وقصر السدير من أهم المعالم المعمارية في مملكة الحيرة وأكثرها شهرة ، أما أهم الجوانب المتعلقة بفن العمارة هي :

- أتبع في بناء القصور طرازاً خاصاً سمي بـــ(الطراز الحيري) .
- استخدم اللبن والآجر والقرميد والمرمر في البناء .
- تم تغطية السقوف بالفسيفساء والذهب .
- زخرفت الجدران برسوم محفورة .
- عثر على كنيستين بنيتا باللبن وكسيت جدرانها بالجص ، فضلاً عن فرش أرضياتها بالآجر .
- زخرفت جدرانها بزخرفات احتوت على أشكال هندسية ونباتية وطيور ، ويعود تاريخها الى القرنين الخامس والسادس الميلادي .
- وفي سنة ١٩٣٠ عثر على فخاريات بعضها ملونة وأخرى غير ملونة ذات لون أزرق .

رابعاً . الفنون عند الانباط :

أول دولة عربية قامت في بلا الشام سكانها من عرب البادية شرق الأردن وعاصمتهم مدينة البتراء .

*** العمارة :**

هناك معابد كثيرة محفورة في الجبال بمدينة البتراء في الأردن تشبه المعابد الوثنية .

- حفرت بدقة كبيرة وتؤشر معرفة عالية بالنحت وفنون الحفر .
- أبنية ضخمة جداً كل واحدة منها يتكون من باحة فيها قاعتان كبيرتان أو قاعة واحدة يوضع فيها تمثال الإله .
- هناك بقايا آثار مسرح منحوت في الصخر يتسع لحوالي (٤٠٠٠) شخص .
- هناك في مدينة الحجر (مدائن صالح) مقابر محفورة في صخور رملية ملساء ذات لون يميل الى الأحمر .
- في جوانب هذه المقابر فتحات عميقة لدفن الموتى وأخرى أقل عمقاً استعملت لوضع مستلزماته .
- واجهة هذه المقابر زخرفت بزخارف هندسية .
- توارث الانباط فنون بابل وأشور .
- أحد ملوك بابل أقام في مدينة تيماء قصراً شبيه بقصره في بابل وزينه بسور يشبه سور بابل في كل شيء تقريباً .

*** النحت :**

- عثر في مدينة البتراء ومدينة الحجر على مجموع من المنحوتات البارزة والمجسمة ذات طابع روماني ومنها رأس فتاة من البرونز .
- هناك لوحة من البازلت نحت عليها الإله (ذو الشرى) نحت بارز وهو اله الانباط وعلى يمينه كاهن صغير .
- هناك مسلات عثر عليها في حوران ذات نقوش كتابية تشير الى دكات النذور وأواني حرق البخور ، وبعض هذه المسلات نحت عليها أشكالاً آدمية نحتاً بارزاً .

- عثر على منحوتات يغلب عليها الطابع التجريدي حتى في رسم رؤوس الآلهة وأجسامها .
- عثر على نجت بارز بالحجم الطبيعي لإحدى الآلهة تحيط بها أوراق العنب وأوراق شجر الاكانتس والزهور ويعتقد أنها تمثل آلهة المزروعات .
- عثر على لوحة لآلهة المزروعات مع الدولفين في ساحة داخلية لإحدى المعابد ، وقد عبد الانباط الدولفين أيضاً واعتبـــروه حاميهم في أسفارهم البرية والبحرية .
- المنحوتات جميعها للآلهة التي يعبدونها ومنها الآلهة التي كانت تعبد قبل الإسلام .

*** الرسم :**

- اتبع الرسام الأسلوب التجريدي في الرسم ، وكذلك في النحت .
- موضوعات الرسوم تمثل مختلف النشاطات الحياتية وعلى وجع الخصوص النشاطات الدينية .
- عثر في صحراء النقب على رسوم في الصخر تمثل أشكالاً حيوانية وآدمية رسمت بحجوم صغيرة ذات طابع رمزي .
- إظهار الإنسان أو الحيوان بحركات مفهومة رغم رسمها بطابع تجريدي أو تجريدي رمزي ، وذلك في إعطاء بعض الصفات الجسمية بشكل صريح .

خامساً . الفنون في تدمر :

تقع تدمر في منتصف المنطقة تقريباً بين المدن السورية من جهة وسوريا ووادي الرافدين من جهة أخرى ، وهي إحدى الممالك التي قامت مستقلة بين الدولة الرومانية والدولة الفرثية .

*** العمارة :**

- تأثرت العمارة بالطرز المعمارية الرومانية واليونانية القديمة .
- بقيت كرز العمارة في تدمر محافظة على تقاليدها الشرقية باستخدام الزخارف في البناء المعماري .
- اهتم التدمريون بتخطيط المدن بشكل كبير .

- تمثل العمائر الدينية مكانة مهم ومميز اذ تم بنائها بشكل في غاية الاتقان واستخدمت فيها مختلف الفنون من نقوش ونحت بارز وصور وتماثيل للآلهة التي تعبد .

*** النحت :**

وهو على ثلاث أنواع نحت مدني ونحت ديني ونحت جنائزي :

١. النحت المدني :

وتوضع منحوتاته في شوارع المدين والمعابد ومبانيها وهي تماثيل مختلف الحجم على وجوهها الوقار .

- يرتدي التمثال عباءة في وضعية الوقوف ويرتدي صندلاً .
- من غطاء الرأس يعرف الإنسان الذي يمثله التمثال :

• الكهنة يرتدي كل منهم تمثاله قلنسوة اسطوانية خالية من النقوش أو مزينة بإكليل من النبات .

• والمدنيون يكـــون كل منهم تمثاله حاسر الرأس أو يتوج بعضهم بإكليل الغار .

٢. النحت الديني :

- تمثل مجموعة من الآلهة منفردة أو مجتمعة نحتاً بارزاً .
- النحت البارز أقرب الى التجسيم كونه يلصق على جدران المعبد وتحاط بإطارات مزخرفة .
- هناك تماثيل لأشخاص يحرقون البخور .
- ظهور تماثيل ثلاث في عمل واحد بصورة لثلاث آلهة يمثل أمراً عظيماً .

٣. النحت الجنائزي :

هي منحوتات وجدت في المدافن :

- هي تماثيل نصفية محفورة حفراً بارزاً عميقاً تثبت على واجهات القبور .
- هناك عبارة عن ألواح مستطيلة توضع على واجهات التوابيت .
- تماثيل النساء يتم تلوينها .
- ينحت الأطفال بملامح الكبار ويحملون أغصاناً من العنب .

المحاضرة السادسة خصائصُ ومعايير الفنِّ الإسلاميِّ:

للفنِّ الإسلاميِّ خصائص تُميِّزُهُ عن غيره من فنونِ الحضارات هي:

١- فهو فنٌّ قائِمٌ على أساسِ التَّوحيدِ، فلا مكانَ فيه للوثنيَّاتِ والأساطير.

٢- يُقدِّمُ صورةً مُتكامِلَةً عن الإنسان والحياة، ولعلَّ من أهمِّ ملامح هذا الفنِّ كراهيَّة التَّصويرِ والتَّجسيدِ فيما يخُصُّ الكائناتِ الحَيَّةَ.

٣- ويُصنَّفُ هذا الفن بأنَّهُ من الكماليَّات فهو ليس من فرائض الدِّين وأركانه لكنَّه لا ضيرَ فيه ولا حرج بل له أهميةٌ وضرورةٌ في تجسيدِ معانٍ كثيرة في حياة المسلم.

ومن أجمل الملاحظاتِ على مُخرجات الفنِّ الإسلامي هي بُغْضُهُ للفراغات بين الرسومات والنُّقوشِ والزخارف بل يَعمدُ إلى تكرار النّمط المرسوم مع بُعده كُلَّ البُعدِ عن البروز والنتوءات مُحافظاً على تنوُّع المادة المرسوم عليها من أخشابٍ ونسيجٍ ومعادنَ وخَزَف. من المُهم ذِكرُهُ أنَّ الهدف من وراء هذا الفنِّ هو هدفٌ نفعيٌ بالدَّرجةِ الأولى؛ إذ أنه يجعلُ من التُّحفة المُزّيَّنةِ كالفخَّارِ والصُّحون والسِّلاحِ تُحفةً ذات بُعدٍ جماليٍّ بالإضافة لمنفعته في الاستخدام اليومي، فلا يوضع في زاوية المنزل لجمال المظهر وحسب، كما ابتكر الفن الإسلامي تعاملاً نادراً مع الخامات الجميلة كالجلود والورق وإخراجها بِحِرَفِيَّةٍ عالية.

٤- استخدام الحضارةُ الإسلاميَّةُ بعض التقنياتِ لصنع الأشياء، مثل العاج المُستخدَم في صناعةِ الصَّناديقِ وعلب المجوهرات، وقد كان العثمانيُّون أوَّلَ من استخدم اللون الأحمر الزاهي في تلوين الخزف مثل استخدامه في مصباحِ مسجدِ السُّليمانِيَّة الموجود حالياً بمتحفِ (فكتوريا).

المعايير التي يقوم عليها الفن الإسلامي :

يقوم الفن الإسلامي على أربعة معايير أساسية وهي كراهيته تصوير الكائنات الحية ، والانصراف عن التجسيم والبروز ، الفزع من الفراغ ، والتنوع والوحدة ، وفيما يأتي شرح مبسط لكل من هذه المعايير :

أولاً. كراهيته تصوير الكائنات الحية :

يعد هذا المبدأ من أهم المبادئ التي عدت معياراً للفن الإسلامي إذ عمد الفنان المسلم الى تجنب رسم الكائنات الحية في أعماله الفنية ، وهذا ناشيء من نبذه لكل ما يتعلق بعبادة الأصنام والأوثان ، الأمر الذي يجعلنا لا نجد أن الفنان المسلم عمد الى رسم أو نحت الأشكال الآدمية أو الحيواني ، بل عمد الى التحوير والتجريد الى رسم أو نحت على نحو متكرر يؤشر لانهائية الكون العظيم الذي خلقه الله ، وبعد استقرار الدين الإسلامي في النفوس ظهرت هذه الأشكال التي كان الفنان المسلم يجتنبها ، وكانت غير صريحة وإنما محورة أحياناً ومجردة أحياناً أخرى وعلى نحو زخرفي .

ثانياً. الانصراف عن التجسيم والبروز :

إن انصراف الفنون الإسلامية عن ظاهرة التجسيم والبروز مثلما هو معروف في الفنون الأخرى يؤشره ابتعادهم عن إظهار البعد الثالث في العمل الفني وهو (العمق) الذي يظهر في الأعمال الفنية الغربية وخاصة التصوير وبأساليب مختلفة كتصغير احجام الأشكال عندما تبتعد عن سطح اللوحة ، أو بالتراكيب أو باللون وهكذا ، بيد أن كل هذه الأساليب لن يعتمدها الفنان المسلم وإنما اختص في الزخرفات بإظهار بعد آخر هو بعد روحي عرفه كثير من المختصين بأنه عمق وجداني اختصت بها الفنون الإسلامية دون سواها .

ثالثاً. الفزع من الفراغ :

إن الملاحظ على الفنون الإسلامية هو عدم وجود فراغ فيها ، إذ يعمد الفنان المسلم الى إملاء كل الفراغ أما بالأشكال أو بالزخرفات بكل أنواعها ، ويعتقد المختصون إن سبب ذلك ربما يكون ردة فعل للإنسان العربي المسلم الذي يعيش في بيئة مترامية الأطراف من الصحاري ، والفراغ ومحاولة منه لتغيير هذا الواقع الذي عمد الدين الإسلامي الى تغييره الأمر الذي جعل الفنان المسلم ردة فعله هو تغيير ذلك

أيضاً مما جعله يكره الفراغ في العمل الفني ، وقد حل ذلك بأن قام بملء الفراغ تماماً أما بالأشكال أو بالزخارف بشتى أنواعها .

رابعاً. التنوع والوحدة :

إن كل وحدة زخرفية داخل مساحة ما هي كاملة في حد ذاتها وتناغمها مع الوحدات الفرعية الزخرفية الأخرى داخل العمل الفني الواحد يعطيها مكانة مميزة لها وللعمل الفني عامة ، الأمر الذي يجعل تنوع هذه الوحدات لو أخذت كل منها على حدة نجدها كاملة ، وعندما تكون داخل إطار العمل الفني الموحد نجدها قد عملت وحدة مع الوحدات الأخريات رغم تنوع كل منها ، ويعد هذا الأمر من أهم مميزات العمل الفني الناجح ، وهو ميزة تمكن الفن الإسلامي من جعلها أحد المعايير التي يستند عليها ، وذلك من خلال جهود الفنان المسلم الذي استطاع أن يجعل من هذه الميزة أحد الأسس والمعايير لعمله الفني .

تاريخ الفن الاسلامي

المرحلة : الثالثة

قسم : الفنون التشكيلية

العناصر الزخرفية في الفن الإسلامي :

ان العناصر الزخرفية في الفن الإسلامي هي أربع عناصر :

١. العناصر النباتية (الزخارف النباتية) .

٢. العناصر الهندسية (الزخارف الهندسية) .

٣. العناصر الحيوانية (الزخارف التي استعملت الكائنات الحية) .

٤. العناصر الكتابية (الزخارف الكتابية) .

١. العناصر النباتية (الزخارف النباتية) :

استعمل الفنان المسلم في هذا النوع من الزخارف السيقان والأوراق وصورها مما أضفى عليها مسحة هندسية تؤشر نزوع الفنان المسلم الى التجريد أولاً ، ثم لفرط التجريد حتى يصبح الشكل أشبه بالرمز لاحقاً ، ويعد الرقش العربي أو ما يعرف بـ(التوشيح) أجمل ما عرفه الفن الإسلامي من زخارف نباتية .

اعتمد الفنان المسلم في إنتاجه للزخارف النباتية وخاصة الرقش العربي على مبدأ التناسق ، ويقوم هذا المبدأ على نظرية التعانق أو التشابك ، ان التعانق أو التشابك في الفن الاسلامي له مظهران :

الأول : وفيه يكون التعانق منفرداً ويقتصر عل غصن واحد يعمد الفنان المسلم الى جعله متموجاً .

الثاني : وفيه يكون التعانق مزدوجاً ، اذ يلتقي غصنان ثم يعمد الفنان المسلم الى جعلهما يفترقان بعد تقاطع خط سير كل منهما .

ويعمد الفنان المسلم في رسم هذا النوع من الزخارف الى رسم الأشكال النباتية ، ثم يملأ الفراغات المتبقية برسم أشكال أخرى من أزهار وثمار بحيث تبدو أنها منبثقة من تلك الأغصان مراعياً تناسقها من حيث الحجم فضلاً عن جعلها تقع في سياق التقابل والتعارض على أساس مبدأ التماثل .

التزم جميع الفنانين المسلمين في مبادئ أساسية في إنتاجهم للرقش العربي رغم اختلافهم في أشياء أخرى ، وهذه المبادئ هي :

- تنسيق الأشكال النباتية .
- تكرار التموجات الخطية .
- تكرار تعانق الأغصان والفروع .
- إملاء الفراغات بشكل تام .
- تماثل العناصر والمجموعات على اعتبار أن التماثل مبدأ أساسي في الرقش العربي مع العناصر الأخرى .

٢. العناصر الزخرفية الهندسية (الزخارف الهندسية) :

استعمل الفنان المسلم في هذا النوع من الزخارف أشكالاً هندسية مختلفة كالجدائل والصليب المعقوف والأشكال النجمية ، فضلاً عن أشكال أخرى تولدت من تكرار أجزاء هندسية اعتماداً على مبدأ التكرار الذي يكون الى الأعلى والأسفل واليمين واليسار أو باتجاه الأقطار (قطري) ، ويبدو أن أغلب هذه الأشكال كانت معروفة قبل الإسلام في حضارات العراق القديم ومصر القديمة أو في الفنون البيزنطية ، وقد استعملت مثلاً في الجامع الأموي بدمشق في نوافذه الست دوائر متشابكة وأشكالاً مضلعة ومفصصة .

وفي العصر العباسي استعمل شكل الصليب المعقوف في البوابة في الرقة اذ استعملت (٤) زخارف للصليب المعقوف حفرت بالآجر فضلاً عن اشكال مربعة وأخرى معينية .

أبتكر الفنان المسلم المضلعات النجمية التي أصبحت فيما بعد من أهم عناصر الزخرفة الاسلامية ، وقد استحدثها الفنان المسلم من تداخل خطوط المربعات أو المثلثات أو الاثنين معاً لتكون شكلاً نجمياً تتراوح رؤوسه ما بين (٥-١٢) رأساً ، بيد أن الشكل النجمي ذا الرؤوس الثمانية قد شاع بشكل كبير حتى عد هذا الشكل شكلاً اسلامياً .

واستعملت التراكيب الهندسية النجمية في التحف المعدنية والخشبية فضلاً عن تزيين واجهات النوافذ وتذهيب المصاحف والكتب وزخرفة السقوف .

٣. العناصر الحيونية (زخارف الكائنات الحية) :

عمد الفنان المسلم الى رسم الكائنات الحية في الزخارف ليس لذاتها وانما ليتخذ منها عناصراً زخرفية يكيفها ويحورها لتحقيق غرض جمالي ليس غير ، وكثير ما

ظهرت الكائنات الحية كالطيور مثلاً في الزخارف الاسلامية بشكل متقابل أو متدابر أو صورة حيوان يقتض على طائر آخر أو مناظر للصيد ، كما رسمت على الأواني الخزفية أو المعدنية ، كما عمد الفنان المسلم الى استخدام حيوانات أسطورية في بعض زخارفه .

٤. العناصر الكتابية (الزخارف الكتابية) :

وهي زخارف تعتمد على الكتابة كعنصر اساسي ، اذ يعتبر الخط العربي بما يمتلكه من خصائص عنصراً هاماً في الزخرفة ، عمد الفنان المسلم الى استغلال تلك الخصائص الأمر الذي جعل الخط العربي بحد ذاته عنصراً زخرفياً لوحده يمكن أن يؤدي دوراً فنياً وجمالياً .

استعمل كل من الخط الكوفي وخط النسخ على نطاق واسع في الزخارف الكتابية في جميع أرجاء الدولة الاسلامية .

وينسب الخط الكوفي الى مدينة الكوفة في العراق ، وهو خط يمتاز بشكله الهندسي ذي الزوايا القائمة الذي يعتمد عليها بشكل كبير ، وقد عمد الفنان المسلم الى كسر ما يولده شكله الهندسي من جمود بأن استعمل معه زخارف خاصة النباتية مستغلاً بذلك ما يوفره من خصائص متعلقة بطبيعة هذا النوع من الخط ، وقد انتشر هذا الخط وما يمكن أن يلحق به من زخارف خاصة النباتية في جميع أرجاء الدولة الاسلامية ، وقد استعمل في كتابة المصاحف وعلى العمائر خاصة المساجد وشواهد القبور .

أضيفت للخط الكوفي معدة إضافات واستعمل على نطاق واسع مع هذه الإضافات الأمر الذي جعل للخط الكوفي أكثر من (٥٠) نوعاً .

أما خط النسخ فهو يمتاز بالليونة والتدوير الأمر الذي جعل الفنان المسلم يستغل صفاته لغرض زخرفي ، وهناك زخارف استندت أساساً الى هذا النوع في الخط على شكل طائر أو حيوان أو سفينة أو كشكل الطغراء ، وقد أبدع الخطاطون في زمن السلاطين العثمانيين في هذا النوع من الفنون ، اذ كانت لكل سلطان طغراء خاصة بع تستخدم كختم أو توقيع للسلطان ، كما كانت ترسم على البوابات وعلى دوائر الدولة العثمانية كما استعملها قبلهم السلاجقة .

مظاهر العمارة الاسلامية (العناصر المعمارية الاسلامية) :

هناك عدة مظاهر أو عناصر للعمارة الاسلامية ، وسنتطرق الى ست منها بشكل موجز ، وهي (العقود ، الاعمدة ، والتيجان ، والمآذن ، القباب ، المحراب ، المداخل).

*** العقود :**

تعد العقود من العناصر المعمارية المهمة في العمارة الاسلامية ، وقد استعمل المعماريون المسلمون عدة أنواع منها بعضها تم ابتكاره من قبل المسلمين ، والبعض الآخر استعملوه معروفاً من قبل الاسلام ، وكما يأتي :

١. عقد شبيه بحذوة الحصان ، وقد استعمل في المعمار في بلاد الشام والمغرب .
٢. العقد المدبب ، وهو ابتكار اسلامي وهو على نوعيت ، الأول : عقد مدبب ذو أربعة مراكز وقد استعمل في الرقة وباب بغداد والأخيضر ، والثاني : عقد مدبب ذو مركزين وقد استعمل في جامع أبي دلف .
٣. العقد المفصص ، وهو عقد ناشئ من مجموعة أقواس متتالية ، وقد استعمل في نوافذ الجامع الكبير في سامراء في العصر العباسي .
٤. عقد تزين باطنه مقرنصات ، وقد استعمل هذا النوع من العقود في الأبنية في المغرب العربي وفي الأندلس .

*** الاعمدة والتيجان :**

استعمل المسلمون في العصور الاولى اعمدة أخذوها من المباني القديمة المهدمة ، بيد أنهم في العصور اللاحقة استعملوا أعمدة ابتكروها في المباني التي قام بتشييدها وهي على أنواع :

- الاعمدة الاسطوانية ، وقد استعملت في جامع ابن طولون .
- الاعمدة مضلعة تضليعاً حلزونياً ، وقد انتشرت في مصر في عصر السلطان قاتيباي وكانت اضلاعها تزينها زخارف نباتية .
- الاعمدة المثمنة .
- ابتكر المسلمون ما يعرف بـ(الدعامة) واستخدمت لاول مرة في قبة الصخرة وفي الجامع الأموي وفي الاخيضر .
- في زمن العثمانيين استخدموا اعمدة ذات تقوير متعرج أو على شكل معينات.

- في ايران استعملت أعمدة من الخشب المذهب ومزينة بمرايا مقطوعة .

أما تيجان الاعمدة فكانت على أنواع منها :

- تيجان ذات اشكال بصلية .
- تيجان مزينة بالمقرنصات .
- تيجان نشبه الزهرة المنفتحة تتصل بها من الاسفل أوراق نباتية .
- تاج كأسي أو ناقوسي مثلما استعمل في قصر الجوسق بسامراء .

*** المآذن :**

تعد عنصراً معمارياً اسلامياً كونها ترتبط بشكل مباشر ووظيفي بإقامة الآذان والدعوة للصلاة ، وفي عهد الرسول ﷺ كانت المساجد بلا مآذن ، ومن أهم أنواع المآذن :

- مآذن مستديرة (اسطوانية) في العصر الأموي المبكر .
- مآذن مربعة كما في بلاد الشام .
- مآذن اسطوانية كانت تقوم على قاعدة مربعة في العراق .
- مآذن حلزونية استعملت في الجامع الكبير وجامع أبي دلف في سامراء .
- مآذن مثمنة استعملت في شتى بقاع العالم الاسلامي .
- في مصر في العهد الفاطمي استعملت المآذن الآتية : مآذن مربعة – مآذن مثمنة – مآذن اسطوانية .
- مآذن ذات رؤوس مزدوجة ، في القرن العاشر الميلادي ، وفي القرن الرابع عشر الميلادي في الجامع الأزهر .
- في الحجاز شيدت على الطراز المملوكي ثم الطراز العثماني .
- وفي القرن الخامس عشر الميلادي أصبح لأغلب المساجد في إيران مآذنتين .
- في الطراز العثماني ، مآذن ممشوقة طويلة مدببة اسطوانية أو مضلعة ، وبأعداد كبيرة فمثلاً (٦) مآذن في جامع السلطان احمد باسطنبول .

*** القباب :**

تعد من أهم العناصر المعمارية الإسلامية ، وقد استعملت في المساجد والأضرحة .

- في العراق أقدم القباب ، استعملت في الاخيضر المعروفة بـ(قبة الاخيضر) ، وهي على شكل نصف كرة ، والقبة البيضوية في سامراء (القبة الصليبية) .

- في المغرب أقدم القباب هي قبة المحراب في جامع القيروان في تونس ، وفي مصر قبة مسجد الحاكم بأمر الله الفاطمي ، وهي ذات صلة بالقباب التي استعملت في المغرب العربي .
- في مصر أصبحت لاحقاً مضلعة (كروية مضلعة) ، قبة مسجد السيدة رقية .
- في العصر السلجوقي اصبحت القباب مخروطية مقرنصة في الداخل .
- في العصر المغولي ، القباب البيضوية والبصلية ذات العنق القصير .
- في العهد العثماني ، القباب نصف كروية كبيرة يحيط بها عدد من القباب الصغيرة في نفس المبنى .

استعمل في تنزين القباب الإسلامية من الداخل والخارج ما يأتي :

١. زخارف نباتية .
٢. كتابات من الخط العربي الكوفي أو الثلث .
٣. ألواح من البلاط المزجج تغطى بها القباب .

*** المحراب :**

هو ابتكار معماري إسلامي استعمل لتعيين اتجاه القبلة وإقامة الصلاة عليه وقد كان كالآتي :

- هو تجويف من الداخل في بطن الجدار باتجاه القبلة ليؤشر الاتجاه الذي يتجه اليه المصلون .
- المحراب المجوف ، قبة داخل الجدار ، في العراق وبلاد الشام والمغرب .
- المسطح ، محراب مسطح محاط بتقوس وزخارف نباتية وهندسية وكتابات قرآنية ، محراب المغارة في قبة الصخرة .

*** المداخل :**

عنصر معماري اسلامي :

- ان أبواب المساجد توضع بمداخل عميقة وعالية .
- قمة المداخل ربع كرة محمولة على مقرنصات .
- أبواب هذه المداخل تصنع من الخشب المزخرف بزخارف دقيقة ، أو من الخشب المصفح بالنحاس فيه زخارف هندسية اسلامية نباتية وهندسية .

النحت في العصور الاسلامية :

نظراً لانصراف الفنان المسلم عن تصوير الكائنات الحية سواء في الرسم أو النحت واتجاهه نحو الزخرفة التي كانت تحفر نحتاً بارزاً على الحجر والجص والمرمر والخشب التي كانت تزين العمائر الدينية والمدنية على حد سواء في العصر الأموي والعصر العباسي ، فضلاً عن تزينها لتيجان الأعمدة والمحاريب .

*** النحت في العصر الأموي :**

ظهر استعمال النحت في العمائر الأموية بشكل خاص في القصور ، إذ عمدوا الى بناء قصور فخمة مستعملين فيها مختلف مجالات الفنون عامة والنحت لزخارف اسلامية بشكل خاص باستعمال الحفر للارضية ، وتظهر الكتابة بارزة ، فضلاً عن زخارفها الجصية البارزة ولاشكال نباتية وهندسية وحيوانية وطيور مع تغطية السقوف لعناصر زخرفية منحوتة نحتاً بارزاً تمثل رؤوس آدمية وأوراق الاكانتس وأوراق العنب وعناقيده وأنصاف مرواح نخيلية تعد مثالاً لعبقرية الفنان العربي المسلم .

وفي قبة الصخرة هناك زخارف رخامية مرتبة على شكل اشرطة تزين الوجه الداخلي للجدران الخارجية لونها ذهبي على أرضية سوداء تمثلها مجموعة من الأشكال النباتية ، وهناك لوحان من الرخام تزين كل منها زخارف محفورة .

*** النحت في العصر العباسي :**

بقيت أساليب النحت السائدة في العصر الأموي كما هي في العصر العباسي ، حتى بنى المعتصم مدينة سامراء واتخذها عاصمة له ، إذ بنى فيها الجامع الكبير وقصره المعروف بـ(الجوسق الخاقاني) ، اذ عمد الى تزينهما بمختلف أنواع الزخارف الإسلامية المحفورة بشكل بارز ، ويرى علماء الآثار أن زخارف سامراء يمكن تقسيمها الى ثلاث طرز :

الاول : استخدمت فيه زخارف جصية تقوم على الأشكال النباتية فقط والمتمثلة بأوراق العنب وعناقيده ورسمت بشكل تجريدي ، وهذا الطراز يشبه الى حد كبير بأسلوب زخارفه من الزخارف الجصية التي اكتشفت في الحيرة .

الثاني : وفيه تختفي ورقة العنب والعناقيد وتتحول الى عناصر زخرفية ذات حجم كبير ونمط جديد لا علاقة له بالأصل الذي تطورت عنه ، والملاحظ أنه ظهرت زخارف فيها الوحدات الزخرفية منفصلة بعضها عن البعض الآخر .

الثالث : إن زخارف الطراز صنعت باستعمال القوالب باستثناء بعض الحدود البسيطة كما لوحظ عدم الفصل بين العناصر الزخرفية وإنما جعل وحدات الزخرفة تتكرر بالتبادل وبشكل لا نهائي .

*** النحت في الاندلس :**

في جامع مدينة قرطبة يوجد محراب عملت على جانبيه زخارف نباتية حفرت حفراً دقيقاً فضلاً عن وجود زخارف محفورة بالجص على بعض أعمدة الجامع ، والملاحظ أنها متأثرة بشكل كبير بزخارف سامراء ، كما توجد هناك بعض الأحواض من الرخام زخارف مكونة من كتابات واشكال نباتية وزهور محورة عن الطبيعة ورسوم لطيور وحيوانات متقابلة وأخرى مجتمعة .

وفي عصر ملوك الطوائف تطور النحت وامتاز بأن الحفر كان دقيقاً وأن موضوعاته كانت متنوعة واستخدمت المراوح التخيلية والأشكال الهندسية ، كما أن بعض ملوك الطوائف عمدوا الى وضع تماثيل بشرية في حدائق القصور الخاصة بهم.

الحفر على الخشب

العصرين الاموي والعباسي (ق٧-١٠م)

ان أكثر ما عثر عليه من المنحوتات الخشبية التي ترجع الى هذه الفترة يشابه اسلوب الحفر في الجص والحجر فقد عثر على ثلاثة الواح خشبية في المسجد الأقصى في القدس حفر عليها زخارف منحوتة نحتاً غائراً تمثل عناصر زخرفية عرفناها من واجهة قصر المشتى.

ويعد منبر جامع القيروان من أجمل الخشب المنحوت في بداية العصر العباسي حيث جلبه الأغالبة من بغداد في القرن التاسع الميلادي وقد زين المنبر بحشوات مستطيلة حفرت بشكل جميل استخدم فيها زخارف كثيرة منها شجرة النخيل وكذلك الصنوبر وفروع العنب وبعض النباتات المجردة وهناك حشوات من تكريت تمثل زخرفتها مجموعة اغصان العنب ومراوح نخيلية وكيزان الصنوبر واشرطة متشابكة واشكال هندسية حفرت حفراً بارزاً بشكل جميل كما استخدمت فيها بعض العناصر الزخرفية التي عرفت بالنحت المائل في الخشب (ش٥٧) وقد انتقل هذا الاسلوب في الحفر على الخشب من سامراء الى مصر في زمن الطولونيين (٨٦٨-٩٠٤م) وهناك مجموعة من الاخشاب المحفورة التي تعود الى هذا العصر محفوظة في متحف الآثار الاسلامية في القاهرة.

العصر الفاطمي في الشام ومصر (ق١٠-١٢م)

استمرت الاساليب الطولونية في الحفر على الخشب في مصر وسوريا حيث كان استخدام النحت المائل الذي عرف في زخرفة سامراء ولكن بدأت تختفي هذه الاساليب في زمن الحاكم بأمر الله الفاطمي فقد استخدمت المواضيع الحيوانية والنباتية وحفرت بشكل دقيق عدا الألواح الخشبية ومنها لوحة مشهورة تمثل حشوة من باب خشبية فيها تفريعات نباتية ورؤوس الخيل تخرج منها عمودياً على أرضية غائرة تخرج من أفواهها مراوح نخيلية وانصاف مراوح نخيلية ويبدو الحفر هنا عمودياً على أرضية غائرة (ش٥٨) . ولقد وجدت أحدى الالواح الخشبية في أحدى القصور التي تعود الى هذا العصر حفرت عليها مناظر تمثل صوراً من حياة الأمراء ومجالسهم وبقي هذا الأسلوب شائعاً حتى القرن الحادي عشر ولكن بدأت الزخرفة الحيوانية والنباتية أقرب الى الطبيعة وأكثر اتقاناً وتفصيلاً من بداية العصر الفاطمي واستمر ذلك حتى القرن (١٢م) حيث يبدو ذلك واضحاً في محراب السيدة نفيسة المحفوظ في متحف الآثار الأسلامية في القاهرة من أبدع الأمثلة في هذا العصر تزينه زخارف نباتية من تفريعات العنب المتداخلة مع الأشكال الهندسية والكتابة الكوفية.

والزخرفة الحيوانية في هذه الفترة أصبح الحفر فيها أقل عمقاً مما كانت عليه في بداية العصر الفاطمي حيث أصبحت الحيوانات والطيور تظهر أقرب للتسطيح ولم يعد الفنان يهتم بالتفاصيل الدقيقة.

عصر الأيوبيين والمماليك في الشام ومصر (ق ١٢ – ١٥ م)

لقد اتبع أسلوب الحفر في عصر الأيوبيين الاساليب الفاطمية ولكن اهتم الفنانون باتقان الزخرفة عما كانت عليه في العصر الفاطمي وحل خط النسخ محل الخط الكوفي. وكانت أساليب الحفر على الخشب في بداية العصر الأيوبي في سوريا متأثرة بالاساليب الزخرفية السلجوقية واشتهر في هذا العصر الحفر على الصناديق والتوابيت ومنها تابوت الأمام الشافعي (ش ٥٩) والآخر من المشهد الحسيني في القاهرة وزخارفها المحفورة حفراً غائراً تمثل زخارف جميلة من الرقش العربي وهناك منبر المسجد الاقصى الذي صنع في حلب بأمر من نور الدين زنكي ٥٦٤ هـ (١١٦٨ – ١١٦٩ م). وفي عصر المماليك أصبح الحفر على الخشب أكثر اتقاناً وجمالاً (النصف الأخير من القرن الثالث عشر) حيث ظهرت مجموعة من مراوح نخيلية واشكالٍ نباتية أخرى رسمت بتفاصيل دقيقة واستخدمت زخارف الرقش العربي في الحفر وأحياناً تكون مطعمة بالابنوس او بالعظم كما في المنابر التي تعود الى القرن (١٣، ١٤، ١٥) مثل منبر جامع الصالح طلائع ومنبر جامع ابن طولون وتبدو الزخارف فيه على مستويين. وفي القرن (١٥ م) شاعت صناعة المشربيات (ش ٦٠) التي تغطي نوافذ المنازل وهي أشكالٌ زخرفية حفرت باسلوب التخريم باشكال تمثل المكعبات أو كرات خشبية ترتبط مع بعضها بواسطة زوايا وفواصل واحياناً تمثل زخرفتها رسوماً أو كتابات كما صنعت الكراسي منشورية الشكل أو سداسية أو مثمنة الاضلاع وتعد من الاثاث التي يوضع عليها الطعام. واستخدمت في الجوامع لحمل الشمعدانات على جانبي المحراب وقد زخرفت التحف الخشبية في عصر المماليك بنقوش ملونة ومذهبة ومثلها صندوق لحفظ القرآن الكريم محفوظ في متحف الآثار الاسلامية في القاهرة واحياناً كان الفنانون يرصعون الخشب بالفسيفساء أو الابنوس أو العاج ويتم ذلك بلصق طبقة من الزخرفة على السطح كله.

في المغرب والأندلس

لقد اتبعت الاساليب الأموية والعباسية والفاطمية في الحفر على الخشب في المغرب والاندلس ولكن لم يصلنا شيء منها قبل القرن الحادي عشر ويمثله منبر في المسجد الذي بناه المرابطون في سنة (١٠٨٢ م) في الجزائر فقد عثر على بعض الحشوات المربعة التي

زينتها الزخارف النباتية والهندسية المتشابكة بالاسلوب الاسباني المغربي كذلك نشاهد هذا الاسلوب في منبر جامع القرويين في منبر مسجد تلمسان وزخارفه النباتية مشابهة للزخارف الجصية المعاصرة له.

وهناك منبران أحدهما في جامع الكتبيه في مراكش وتاريخه مابين (١١٥٠ – ١١٦٠م) والثاني في جامع القصبة في الجزائر وكلاهما من عصر الموحدين وزخرفتها تمثل حشوات ذات اشكال هندسية حفر في داخلها بشكل دقيق زخارف نباتية وكتابة كوفية كما زخرف منبر جامع القصبة بالعظم والخشب الثمين.

وفي القرن (١٤م) انتهج الحفر بالاسلوب الاسباني المغربي أسلوبين أحدهما الاسلوب المغربي الذي ورد الحديث عنه والاخر اسلوب الحفر على الخشب عند المماليك في مصر وتمثله أبواب في قصر الحمراء وأبواب القصر في أشبيلية (ش ٦١).

الخزف

للفخار والخزف تاريخ طويل عند الاقوام الذين عاشوا في مناطق انتشار الاسلام. فقد عاشت اقدم الحضارات في وادي الرافدين ووادي النيل وترك هؤلاء انواعاً وتكوينات جميلة من الفخار ثم زججوها فأصبحت خزفاً.

يمثل الخزف الاسلامي المكان الأول من غزارة الانتاج بين التحف الاسلامية على الرغم من تلف الكثير منه خلال التنقيبات. ولا تزال التنقيبات تكشف بين الحين والآخر عن اشكال متنوعة في الصنعة والزخرفة والالوان فقد وفق الخزافون في اختيار الالوان واتقان الطلاء وقد تميز الخزف الاسلامي ببعض الالوان مثل الابيض والاصفر الليموني والاخضر الفيروزي والازرق المخضر وكذلك البنفسجي المائل الى الاحمر.
وهذا لايعني عدم وجود الالوان الاخرى كالاسود والاحمر والوردي والاخضر وغيرها علاوة على الخزف المذهب.

وقد اقبل المسلمون على صناعة انواع جيدة من الخزف تميزت باختلاف طرائق صناعتها واساليب زخرفتها خلال العصور الاسلامية، كما استعملوا الخزف لشتى الأغراض سواء كانت للاستعمال اليومي كالأواني ام كتحف للزينة. وصنعوا الفسيفساء الخزفية والبلاط لكسوة العمائر من الداخل والخارج وكانوا موفقين كل التوفيق في اتقان انواع الطلاء والتنويع المبدع في الالوان ولم يكتف المسلمون بانتاجاتهم المحلية بل كانوا يجلبون بعض الانتاجات التي كانت تصنع في مناطق اخرى من العالم وخاصة من الصين التي كان لها ماض عريق في انتاج اجود انواع الخزف. ومثال على ذلك ماوجد في حفائر الفسطاط من قطع خزفية تمثل انواعاً عديدة من الخزف الاسلامي المصنوع مابين القرنين (٩– ١٧م) تمثل اساليب مختلفة فضلاً عن مجموعة من الخزف الصيني والخزف المصنوع في اقاليم البحر المتوسط.

ان ازدهار الحضارة العربية الاسلامية في القرن التاسع الميلادي قد دفع الصناعات والعلوم والفنون الى درجات متقدمة من الرقي. كما ان العراق كانت له الصدارة في انتاج الصناعات الفنية كافة لأنه كان المركز السياسي والعلمي والديني والفني للنشاط الحضاري في العصر العباسي.

الخزف في العالم الاسلامي زمن الامويين والعباسيين (ق ٨ – ١٠م)

للفخار والخزف في العراق تاريخ عريق قبل ظهور الاسلام بآلاف السنين منذ استوطن الانسان ارضه وعن العراقيين تعلمت الاقطار المجاورة الكثير من متطلبات الحضارة ومنها الخزف.

وتشهد متاحف العالم بشكل عام والعراق بشكل خاص على تطور هذه الصناعة.

لم تظهر مميزات معينة في الخزف العراقي اوما يجاوره من حواضر اسلامية في الفترة الاموية ومن العسير اعطاء مواصفات خاصة بهذه الفترة فقد كانت المنتجات الخزفية استمراراً للاساليب التي عرفت قبل الاسلام.

اما في العصر العباسي فقد ازدهرت الفنون بشكل عام وكان من ضمنها الخزف، ومن خلال التنقيبات التي اجريت في مناطق من العالم الاسلامي مثل الفسطاط وسامراء والمدائن والري... الخ عثر على مواد لها اهميتها بالنسبة لتاريخ الخزف في بداية العصر الاسلامي ومعظم الخزف الذي عثر عليه في سامراء يعود الى القرن ٩م.

ويختلف الفخار الاسلامي اختلافاً كبيراً من حيث قيمة الخزف واساليبه الصناعية واقتصرت الزخرفة بالبريق المعدني والطلاء بالميناء على المنتجات التي تصنع للامراء ورجال البلاط والاثرياء من الناس. كما مارس الفنان الاساليب الصناعية الاخرى كطريقة الحز والرسم تحت الدهان بلون واحد او عدة الوان واستخدمها صناع الخزف المسلمون في شرق العالم الاسلامي وغربه.

اما الاساليب الصناعية التي انتشرت في العالم الاسلامي ابتداء من العصر العباسي فهي:

١ – الخزف ذو الزخارف المحزوزة

وهي مجموعة من الاواني تحز فيها الزخارف على قشرة رقيقة بيضاء تغطي الاناء ثم تطلى بعد ذلك بطلاء شفاف رصاصي اللون مائل الى البياض او بطلاء شفاف اخضر او اصفر فيه بقع من الوان اخرى مثل الاخضر والبني او الاخضر والاخضر والارجواني. ويعد اسلوب هذه الزخرفة ابسط الطرائق المعروفة في الكثير من البلاد الاسلامية خلال عصور طويلة ولرسومه البسيطة يدل على انه كان يزاول في مناطق شعبية (ش ٨٩).

٢ – الخزف ذو اللون الواحد

ويستخدم في طلاء هذا الخزف لون واحد فقط هو الازرق او الاخضر ويكون على مجموعتين : الاولى تشتمل على جرار كبيرة قوام زخارفها اشرطة بارزة وتفريعات نباتية تصنع بطريقة الباربوتين[1] (ش ٩٠) . اما المجموعة الثانية فتحتوي على صحون واكواب اكثر رقة في صناعتها وقد عثر على مجموعة منها في سامراء ذات رسوم هندسية واوراق محورة . ومنها ماهو مطلي بطلاء اصفر ذي بريق مستحضر من املاح الرصاص .

٣ – الخزف ذو الزخارف المرسومة

وترسم الزخارف في هذا النوع من الأواني تحت طبقة شفافة من الطلاء او فوق طبقة سميكة . في الاسلوب الاول يتم طلاء الآنية الخزفية بطلاء ابيض رقيق او بلون داكن وترسم عليها الزخارف باللون الاسود ثم تغطى بطبقة شفافة تظهر من خلال النقوش . اما في الاسلوب الثاني تطلى الآنية بطلاء سميك ثم ترسم عليه النقوش غالباً باللون الأزرق والأخضر. ويصنع خزف هذا النوع (المرسوم فوق الطلاء) من طين نقي يغطى بطبقة من المينا القصديرية بنفس اسلوب خزف سامراء ذي البريق المعدني . وتضم زخارفه كتابات كوفية باللون الازرق مع بقع حمر.

٤ – الخزف ذو النقوش البارزة على سطح الاناء

وتكون بدرجات عمق مختلفة تلون بلون واحد او بعدة الوان ثم تطلى بلون شفاف هو الاصفر الفاتح في الغالب بحيث تظهر الاشكال الزخرفية بالوانها من خلاله . وقوام زخارفه حبيبات دائرية وفروع لاغصان نباتية وزخارف هندسية واوراق محورة وطيور وقد تنتهي الزخارف الهندسية بتفريعات من المراوح النخيلية اوكتابات زخرفية .

٥ – الخزف ذو البريق المعدني

ازدهرت صناعته في العراق في العصر العباسي ولا سيما في بغداد وسامراء (ش ٩١) . ثم انتقل الى بقية اقاليم العالم الاسلامي . ان زخارفه متعددة وبديعة يغلب عليها اللون البني واللون الذهبي والاخضر بدرجاته . وترسم هذه الزخارف بلون واحد او عدة الوان على

---

١ – الباربوتين : وتسمى طريقة الصب بالقمع وهي دفع عجينة لينة من الطين من خلال ثقب قمع يختلف في سمكه وفقاً للزخرفة المطلوبة وتثبت الخيوط الطينية التي تخرج من الثقب على رسوم الاناء (كتزيين الكيك بالكريم) فتبرز عنه قليلاً .

ارضية مطلية بالمينا القصديرية وبعد حرقها بدرجات عالية جداً ترسم عليها الزخارف بالاكاسيد المعدنية وتحرق ثانية بدرجات حرارية اقل ولمدة اطول فيتفاعل الدخان المتصاعد نتيجة للحرق مع الاكاسيد المعدنية فتتحول هذه الى بريق معدني ذهبي او احد اطياف اللونين الاحمر او البني.

وقد انتجت سامراء اجود انواع الخزف ذي البريق المعدني حيث يبدو في مجموعة منها اللون الابيض والاخضر الزيتوني والاخضر الفاتح والبني المائل الى الحمرة اما زخارفه فقد استخدم فيها بعض الاشكال المحورة عن الطبيعة ومراوح نخيلية ذات ثلاثة فصوص او مجنحة ودوائر بيض في وسطها نقط داكنة واشكال هندسية. وعلى محراب جامع القيروان هناك بلاطات مصنوعة بالبريق المعدني تشابه اواني سامراء استوردت مع المنبر الخشبي من بغداد في عصر بني الاغلب في القرن ٩ م مما يثبت اسبقية هذه العاصمة في انتاج هذا النوع الممتاز من الخزف.

٦ – الفخار غير المطلي

وقد ورثه الخزافون عن الحضارات القديمة سواء في العراق ام في مصر. وقد ظهر عليه الطابع الاسلامي في القرن ٩ م. وزخارفه مصنوعة بطرائق مختلفة ابسطها رسم خطوط افقية مستقيمة ومتموجة ورسوم بسيطة من النباتات. وكثيراً ما وجدت الزخارف المحفورة او المحزوزة الى جانب الزخارف المصنوعة بطريقة الباربوتين كما عمل البعض الآخر من الزخرفة بواسطة اختام مستديرة او غير مستديرة.

ان زخارف هذا النوع غير متقنة عادة تتكون من تعبيرات نباتية وحيوانية وآدمية. وقد لجأ صناع الخزف في القرن التاسع للميلاد الى عمل قوالب لانتاج كميات كبيرة من الخزف غير المدهون ذي الزخارف البارزة كالاباريق مثلاً.
وكان جسم الاناء المستدير يصنع عادة من جزأين منفصلين يضاف اليها فيما بعد العنق والمقابض والقواعد.

الخزف في العصر الفاطمي في مصر (ق١٠–١٢م)

تقدمت صناعة الخزف في هذا العصر (٩٦٩–١١٧١م) تقدماً كبيراً وهي امتداد لصناعة ازدهرت في مصر منذ العصر الطولوني وكانت متأثرة بالاساليب العراقية خاصة في الخزف ذي البريق المعدني الذي عثر على قطع منه في حفائر الفسطاط وهي ذات لون واحد يميل الى الاحمرار كما تميزت برقة الطلاء الذي يغطي سطحها.

وكانت الاواني الفاطمية من هذا النوع من الخزف تطلى بلون ابيض يميل احياناً الى الزرقة او الخضرة ترسم عليه زخارف بالبريق المعدني يسودها اللون الذهبي. وتمثل زخارفه اشكالاً حيوانية وطيوراً وتفريعات نباتية.

وقد عثر على أوانٍ عديدة عليها تواقيع لاعلام الخزافين المصريين في هذا العصر مثل مسلم وسعد وابراهيم المصري وسامي وغيرهم. وقد كان لكل من مسلم الدهان وسعد مدرسة في فن الخزف. ففي طراز مسلم تكون الانية مدهونة كلها بالطلاء حتى تختفي طينتها ويكون حرف قاعدتها منخفضاً جداً وتكسوه المينا. ولون البريق المعدني المستخدم هنا غالباً هو اللون الذهبي الذي يستحضر من مزيج الفضة والقصدير. كما توجد بعض القطع ذات بريق احمر نحاسي اللون. اما قوام الزخارف فكانت تمثل اشكالاً آدمية وحيوانية ونباتية مع كتابات كوفية وغالباً مايكون هناك حيوان او طائر في وسط الموضوع الزخرفي.

ومن القطع التي تنسب الى مدرسة مسلم آنية محفوظة في متحف الفن الاسلامي بالقاهرة عليها زخارف بالبريق المعدني ذي اللون الذهبي المائل للخضرة تمثل ديكاً رافعاً ذيله ويتدلى من منقاره فرع نباتي (ش ٩٢) وحول الدائرة المرسوم فيها الديك دائرة اخرى فيها زخارف نباتية.

والاواني ذات البريق المعدني التي كانت تصنع على طراز سعد لاتكون كلها ،مدهونة بالطلاء الا ماندر حيث يترك حوالي سنتمترين او ثلاثة من اسفل الآنية بدون طلاء. وكان سعد يوقع على إنتاجاته من الخزف بحرف من الكوفي المشجر وقد استخدم سعد وتلامذته المينا البيضاء الغنية بالقصدير، او الزرقاء المائلة الى الخضرة لما تحتويه من نحاس ، او المينا الوردية لما تحتويه من منغنيز. واحياناً يستخدم سعد مادة زجاجية شديدة اللمعان يميل لونها الى الاخضر او لون العاج.

وقوام الزخارف المستخدمة في هذا الطراز تمثل اشكالاً نباتية وزهور ومراوح نخيلية وجدائل رسمت بدقة وعناية (ش ٩٣).

لقد قلدت مصر في زمن الفاطميين بعض منتجات الشرق الاقصى حيث ان العلاقات كانت جيدة بينها وبين الصين منذ عهد اسرة (تاج) سنة ٩٠٦م. كما مارس الفنانون ايضاً انواعاً اخرى من الخزف: كالخزف المحفور تحت الطلاء والمطلي في بعض اجزائه ، كذلك صنعوا الفخار غير المدهون.

الخزف في مصر وسوريا في عصر الايوبيين والمماليك (القرن ١٢ – ١٥م)

كشفت الحفائر في الفسطاط عن انواع جيدة من الخزف تعكس اتجاه الفنانين في عصري الايوبيين والمماليك في تقليدهم للبورسيلين[1] الصيني ذي اللون الواحد. كما عثر على بعض الخزف الذي يرجع الى مابين القرنين (١٠ – ١٤م) وهو ذو لون ابيض عليه كتابات او نقوش باللونين الاخضر أو الازرق مشابه لما عثر عليه في العراق. والبعض الآخر رقيق في صناعته عليه زخارف نجمية وكتابات كوفية.

اما اهم انواع الخزف في هذا العصر فهو ماعثر عليه في الفسطاط ودمشق والرقة وبعلبك وهو مطلي باللون الازرق او الاخضر الشفاف وقوام زخارفه رسوم حيوانات محورة عن الطبيعة بعضها ذو طابع زخرفي جميل. اما القطع المملوكية فزخارفها تمتاز برسوم الطيور والحيوانات القريبة من الطبيعة مشابهة للأسلوب المغولي الذي كان شائعاً في شرق العالم الاسلامي فكان يصعب احياناً التفريق بينها.

ومن خزافي هذا العصر الذين مارسوا صناعة الخزف ذي الزخارف المرسومة تحت الدهان خزاف اسمه غيبي امتاز خزفه بجودة عجينته وبرقة الطلاء الذي يستخدمه وكان الازرق يغلب على الوانه. اما الزخارف التي استخدمها فهي باقات من الزهور والطائر ذو المنقار الطويل والعرف الشبيه بالزهرة والورد النجمية الشكل.

وغزال احد خزافي هذا العصر وقد تميزت زخارفه باستخدام زهور متعددة الفصوص واستخدم الزخرفة باللون على ارضية سوداء او بيضاء.

ومن الخزافين الذين تأثروا بالفنان غيبي اسمه (دهين) وكان يوقع على نتاجاته الفنية (عمل الهرمزي).

وهناك فنانون اخرون من خزافي مصر في القرن ١٥م مثل ابن الملك وابي العز اللذين ذاعت شهرتهم في عصر المماليك.

وامتاز عصر المماليك بنوع من الفخار المطلي بالمينا وعجينته تتميز بكونها مائلة الى الاحمرار تطلى بدهان من المينا الصفراء او الخضراء او البنية. وتبدو الزخارف محفورة بعمق على القشرة بحيث تصل الى العجينة الحمراء. واستخدم فيها زخارف قوامها اشكال هندسية وآدمية وكتابات كوفية بالخط الثلث المملوكي وتضم احياناً اسماء الامراء وشاراتهم. وفضلاً عن ممارسة الخزف ذي البريق المعدني عرف الخزافون في هذا العصر

ايضاً صناعة صناعة البلاط المزجج لكسوة الجدران وقد كان المصريون يفضلون الرخام في تغطية الجدران .

وكانت سوريا اكثر غزارة[1] في انتاج الخزف من مصر خلال العصور السابقة واستمر انتاجها في عصري الايوبيين والمماليك فقد انتجت انواعاً بديعة من الخزف الفاخر الذي يعد امتداداً الى التقاليد السورية السابقة وكانت تنسب هذه الخزفيات الى مدن صناعتها كالخزف الدمشقي والخزف الرقي .

الخزف في المغرب والاندلس

ازدهرت الفنون في هذه البلاد بشكل عام وقد اصاب الخزف منه الشيء الكثير. وقد كانت المغرب والجزائر[2] تنتجان انواعاً شعبية للاستعمالات اليومية لاتضاهي ما كان يصنع في المدن الاندلسية . فقد عثر في مدينة الزهراء وفي قصر الحمراء بغرناطة على بعض القطع والاواني التي تعود الى مابين القرنين (١٠ – ١٤ م) لها علاقة وثيقة بالاساليب الزخرفية التي شاعت في شرق العالم الاسلامي . اما الخزف ذو البريق المعدني الذي يعود الى القرن ١٠ م فله علاقة وثيقة بالخزف العباسي في العراق وربما يكون قد جلب من هناك . وقوام زخارفه رسوم حيوانات وطيور ونباتات .

وقد اشتهرت مدينتا ملقة وغرناطة في القرنين (١٤ – ١٥ م) في انتاج صحون وقدور وبلاطات ذات بريق معدني باللون الذهبي او الذهبي والازرق ومن ابدعها تلك المزهريات البيضوية الشكل ذات مقابض تشبه الاجنحة وتسمى (قدور الحمراء) (ش ٩٤) وتضم زخارفها اشكالاً نباتية وطيوراً رشيقة وكتابات كوفية رتبت بشكل اشرطة تدور حول المزهرية ، وتنسب القدور ذات اللون الذهبي الى ملقة في حين تنسب ذات اللون الازرق والذهبي الى غرناطة .

وتعد منيشة من المراكز المهمة في صناعة الخزف(بين ١٤ – ١٦ م) وقد اشتهرت بصناعة نوع من الخزف يسمى (الباريللو) (ش ٩٥) ، كان يزين بزخارف البريق المعدني الذهبي والازرق وتستخدم في زخارفها الكتابات الكوفية والاشكال النباتية وبعض عناقيد العنب والزهور ذات الطابع الغوطي او الكتابات الغوطية (ش ٩٦) او شارات الاسر المسيحية . واستمرت صناعة الخزف في هذه المدينة حتى القرن ١٧ م وبقيت محتفظة بطابعها المغربي على الرغم من انتقالها الى ايدي الاسبان منذ القرن السادس عشر الميلادي .

اما مدينة بترنا بالقرب من بلنسية فقد ازدهرت صناعة الخزف فيها في القرنين (١٣ – ١٤ م) واستمرت الصناعة في ايدي الفنانين المسلمين حتى بعد سقوط بلنسية في ايدي الاسبان سنة ١٢٣٨ م . وامتاز خزف بترنا بزخارف منقوشة باللون الاخضر او البني او البنفسجي على ارضية بيضاء . وقوام هذه الزخارف طيور وحيوانات محورة عن الطبيعة كما ان بعض الاواني كانت تضم رسوماً آدمية ذات طابع شرقي .

التحف الزجاجية

لقد وجد العديد من التحف الزجاجية في حفائر مدن اسلامية كثيرة مثل الكوفة وسامراء والفسطاط والمدائن ومدينة الزهراء والري وغيرها وكانت على جانب كبير من الجمال والرقة والنقاوة والدقة في الزخرفة ، وقد تأثرت معظم التحف الزجاجية بالاساليب المحلية التي كانت سائدة في البلاد قبل الفتح الاسلامي .

ومعظم الاواني التي عثر عليها كان بعض منها يشمل الاواني والاكواب والمزهريات للاستعمال اليومي ومنها قوارير صغيرة لحفظ العطور والادوية ، وكان البعض منها خالياً من الزخرفة . وقد تركب بعض الاواني على اشكال حيوانية (ش ٩٧) .

اما زخرفتها فتكون بعدة طرائق :

١ – طريقة النفخ في قالب معين تكون زخرفته باشكال متنوعة على هيأة اضلاع او دوائر متحدة المركز او زخارف تشبه خلايا النحل ويكون الجزء الاعلى من القالب غالباً اوسع من الاسفل ليسهل اخراج التحفة منه وقد يستخدم قالبان لصنع بدن اناء كالمزهرية او الاباريق مثلاً حيث ينفخ الجزء الاعلى في قالب والاسفل في قالب آخر ثم يوصل الجزءان مع بعضهما بعد ذلك .

٢ – ضغط الزخارف على الاناء وهو في سخونته بوساطة الملقط حيث تثبت على جدران الاناء واحياناً تضغط بعض الخيوط الزجاجية على الاناء بنفس الطريقة فتشبه بذلك تعرقات الرخام .

٣ – تلصق الزخارف بشكل نقاط زخرفية او خيوط رفيعة وتكون هذه المرة بارزة على سطح الاناء (ش ٩٨) .

٤ – في هذه الطريقة وبعد ان تصنع الآنية الزجاجية ثم تجف تماماً تغمس ثانية في سائل زجاجي فتكتسب الآنية طبقة زجاجية ذات لون جديد . ثم تحفر الزخارف على الغلاف الخارجي فيظهر الاناء بلونين .

٥ – طريقة التذهيب ويتم بطلاء الاواني بطبقة رقيقة من الذهب ثم ترسم الزخارف ويزال من بعض المناطق الطلاء الذهبي .

٦ – طريقة استخدام الكوسرة في حفر الزجاج البلوري او الزجاج السميك الذي يزخرف بمهارة بزخارف منوعة ثم يلون بعد ذلك .

التحف الزجاجية في العراق وسوريا ومصر في العصرين الاموي والعباسي (القرن ٧-١١م)

لقد عثر على قطع من الزجاج في الكوفة وفي واسط تعود الى العصر الاموي تميزت بزجاجها النقي وقد صنع البعض منها بطريقة النفخ وكان يغلب عليها اللون الاخضر او الازرق بدرجاته ، وبعض هذه الزجاجيات متوسط السمك . كما عثر في الكوفة والاخيضر على قطع يعود تاريخها الى العصر العباسي الاول . وتميزت بعض القطع التي عثر عليها في الكوفة بكونها ارق من زجاج سامراء ويغلب عليها اللون الازرق السماوي والازرق المائل للخضرة . اما التي عثر عليها في الاخيضر فتميزت باستخدام الزخارف الهندسية والنباتية ومراوح نخيلية اما الوانها فكانت الاصفر والاخضر والاحمر والبني .

واشتهرت بغداد بانتاج الزجاج ذي الزخارف المقطوعة ويعد هذا الاسلوب من الصناعة مصدراً فنياً لمثيله من الزجاج في مصر في العصر الفاطمي .

اما ماعثر عليه في سامراء فيرجع الى القرن التاسع الميلادي . ومنها قطع ذات زخارف محفورة تمثل تفريعات العنب واشكالاً هندسية محصورة داخل مناطق معينة كما ينسب اليها بقايا قطع من الزجاج البلوري النقي تزينه زخارف محفورة حفراً غائراً .

واشتهرت بغداد والعراق بشكل عام بانتاج البلور (ش ٩٩) ويعد هذا من المصادر لهذا الاسلوب في مصر في العصر الفاطمي . كما ان الزجاج ذا البريق المعدني نشأت صناعته في العراق [١] ثم قلده صناع الزجاج في مصر ولكنه اقل دقة في الرسم والالوان منه في العراق .

وقد كان لسوريا ومصر مكان الصدارة في انتاج التحف الزجاجية الجيدة منذ العصر الروماني [٢] ويعد الزجاج السوري من ارق وانقى الانواع . اما الاساليب التي استخدمت في صناعته في مصر وسوريا والعراق فقد تأثرت بالاساليب المحلية السابقة للاسلام.

وقد عثر في هذه البلاد على اكواب واباريق على هيأة كمثرى مزينة بزخارف تمثل اقراصا او وريدات بارزة او كتابات كوفية . كما وجدت اوان اخرى عليها زخارف مختومة تتضمن جامات مستديرة تضم داخلها اقراصاً صغيرة او رسوم حيوانات او كتابات كوفية .

اما انواع الزخارف الاخرى فكانت رسومها مصنوعة بالطرائق التي ذكرت سابقاً ، ومن المصنوعات الزجاجية بعض القطع التي كانت تستخدم كعيارات للوزن .

التحف الزجاجية في سوريا ومصر في العصر الفاطمي (ق ١٠ – ١٢ م)

تعد مدينة الفسطاط من المدن المصرية التي انتجت التحف الزجاجية في هذا العصر بالاضافة الى الفيوم والاسكندرية ، وقد صنعت قطع بديعة من الاواني امتازت بالجودة والاتقان.الى البلاط الفاطمي وكانت ذات زخرفة تتضمن موضوعات مختلفة .
وينسب الى هذا العصر بعض القناني ذات البدن المستدير او المضلع وذات عنق اسطواني طويل كان بعضها يستخدم للعطور.

وقد صنعت الاواني الزجاجية ذات البريق المعدني في سوريا ومصر ومنه نوع احمر عليه زخارف من رسوم طيور ووريقات مشابهة للخزف ذي البريق المعدني الفاطمي .

كما استخدمت مختلف الاساليب في زخرفة الزجاج فمنه ذو خيوط مضغوطة او مضافة بشكل بارز الى الاواني ، وقوام الزخارف مجموعة من الاشكال النباتية والهندسية والكتابات الكوفية ، واستخدمت الوان شبيهة بالمينا مع البريق المعدني الذهبي او الفضي ، وقد مارس صناع الزجاج في العصر الفاطمي الرسم بالذهب الخالص ويمثلها جزء من قنينة عليها راقصات واشجار وطيور مرسومة بالذهب بالاسلوب الفاطمي وتعود الى القرن ١٢ م .

وازدهرت صناعة البلور الصخري في العصر الفاطمي وكانت مادته الاولية تجلب من المغرب او من اقليم البحر الاحمر وامتاز البلور المغربي بنقائه وشفافيته ، وكانت الاواني من هذا النوع خاصة بالحكام وبطبقة الاغنياء . كما اعجب الغرب بهذا النوع من الزجاج وكانوا يعدونه رمزاً[1] للنقاء الروحي ولذلك كانت تحفظ فيه بعض الموقوفات المقدسة في الكنائس . وصنعت منه الاباريق الكمثرية (ش ١٠٠) ومجموعة من الاكواب والفناجين والكؤوس وقطع الشطرنج .

وقد مارس صانعو الزجاج في سوريا ومصر في هذا العصر صناعة الزجاج السميك ذي الزخارف المقطوعة والمضغوطة ، وقوام هذه الزخارف اسود وطيور ناشرة اجنحتها واشجار ومراوح نخيلية وعلى احداها هلال وعدد من النجوم وقد اصطلح عليها باسم كؤوس هيدويك[2] (Hedwigs glass) ويعود تاريخ صناعتها الى القرن الحادي عشر للميلاد (ش ١٠١) كما ان هناك مقلمة من الزجاج السميك تعود الى القرن ١٢ م . (ش ١٠٢) وقد كثر استخدام هذا النوع من الزجاج السميك ذي الزخارف المقطوعة بدلاً من الاواني البلورية ذات القيمة

---

١ – زكي محمد حسن/فنون الاسلام ص ٥٩٢ .

٢ – هيدويك – وتنسب الى القديسة هيدويك ويذكر انها حصلت على تلك الكؤوس عندما كانت تحج الى القدس كما ذكر ان الماء الذي كان في احدى هذه الكؤوس قد تحول الى نبيذ . نعمت اسماعيل علام ، فنون الشرق الاوسط في العصور الاسلامية ، الحاشية ، ص ٥٩٤ .

العالية . وقد اصبحت الزخارف المحفورة على الاواني البلورية اقل عمقاً في نهاية العصر الفاطمي منه في بداية العصر نفسه .

التحف الزجاجية في سوريا ومصر في عصر الايوبيين والمماليك (القرن ١٣ – ١٥ م)

لقد تطورت صناعة الزجاج منذ العصر الفاطمي وبلغت ذروتها في عصري الايوبيين والمماليك حيث مارس الصناع الزجاج المذهب والمموه بالمينا وتعود الى القرن الثالث عشر مجموعة من الاواني ذات زخارف ادمية ترتب على هيأة اشرطة او ضمن جامات دائرية او مستطيلة او مفصصة .

وهناك اناء ينسب الى الرقة عليه زخرفة تمثل شريطين من الكتابة بينها دوائر متقطعة واشكال هندسية مملوءة بحبيبات من المينا زرقاء وبيضاء وعليه رسوم طيور ورسوم ادمية .

وقد استمر الصناع السوريون في انتاج التحف الزجاجية المذهبة والمطلية بالمينا في عصر المماليك (ش ١٠٣) واصبحت دمشق منذ سنة ١٢٦٠ م من اهم مراكز الانتاج لهذا النوع من الزجاج كذلك استمرت حلب في الاحتفاظ بمركزها المهم في هذه الصناعة وقد كانت العراق ومصر وتركيا واقطار الشرق الاقصى والادنى كافة تستورد الزجاج السوري الرائع الصنع .

وتميزت الرسوم الآدمية في الزخارف التي تعود الى عصر المماليك بكونها متقنة جداً او تشابه الى حد بعيد رسوم الاشخاص الموجودة على التحف المعدنية الموصلية التي تعود الى القرن (١٣ م) كذلك شاع استخدام الزخارف المذهبة فوق طلاء المينا ولكن مساحة هذا الطلاء اصغر مما كانت عليه في عصر الايوبيين .

اما اروع ماوصل اليه صانعو التحف الزجاجية في عصر المماليك فهي المشكايات المموهة بالمينا (ش ١٠٤) وكانت لهذه المشكايات مقابض توضع فيها سلاسل من الفضة أو من النحاس الاصفر وتجمع في كرة مستديرة او بيضوية تصنع من الفسيفساء او من نفس زجاج المشكاة لتعلق في الجامع او في القصر. وزجاج المشكاة يميل الى اللون الاصفر او الاخضر وقد تبدو فيه فقاعات هوائية صغيرة ، وقد استخدمت الوان المينا المتعددة منها الاحمر والازرق والاصفر. اما الزخارف فقوامها اشكال نباتية وكتابات من الآيات القرآنية اذا كانت المشكاة للجامع ، اما مشكايات القصور فكانت تزخرف بشعارات السلاطين او بالدعاء لهم وتكتب بخط النسخ المملوكي . واحياناً تتضمن صوراً لموضوعات ذات رسوم هندسية وطيور.

وقد شاعت في عصر المماليك الشبابيك المزخرفة بزخارف هندسية مفرغة او بكتابات ، وكانت هذه الفراغات تملأ بالزجاج الملون لاضفاء الجمال عليها من جهة ولتخفيف حدة الضوء من جهة اخرى ، وقد اصطلح على تسميتها بالشمسيات او القمريات وقد بدأ استعمالها منذ النصف الثاني للقرن الثالث عشر الميلادي .

التحف الزجاجية في الطراز الاسباني المغربي

لقد عثر على بعض الاواني والقطع الزجاجية في حفائر مدينة الزهراء وهي لاتختلف في اسلوب صناعتها عما كان في العالم الاسلامي .

وقد اشتهرت مدينة المرية وغرناطة في انتاج التحف الزجاجية الاسلامية (ش ١٠٥) وكان لهذه التحف الاثر الكبير في الاساليب الفنية التي كان صناع الزجاج يمارسونها في عصر النهضة في اسبانيا حيث تبدو هذه التأثيرات في هيأتها وزخرفتها كما انتشرت بعدئذ في بقية الدول الاوربية .

التحف المعدنية

عرفت صناعة المعادن منذ أقدم العصور وقد مارس الانسان استخراجها وتعدينها ومزجها مع بعضها لاستخراج سبائك جديدة ذات جودة عالية. كما برع في طرقها وصياغتها وتشكيلها بهيئات مختلفة وزخرفت بأساليب جميلة ونقوش تدل عل ذوق رفيع وقد عثر على العديد من التحف المعدنية في اقاليم العالم الاسلامي وعلى رأسها العراق ومصر صيغت من النحاس والبرونز والذهب والفضة والحديد ويعود تاريخ هذه التحف الى عصور ماقبل الاسلام نظراً لما كانت تتمتع به بلاد وادي الرافدين ووادي النيل من حضارات خلال العصور التاريخية القديمة.

وبعد ظهور الاسلام مارس الفنان في جميع انحاء العالم الاسلامي انتاج المعادن وتجويدها وقد امتازت صناعتها بالدقة والاناقة والذوق مستندة الى التراث الغني الذي وجده في بلاده فصنعت القدور والاباريق والصحون الذهبية والفضية وكانت تشكل المباخر على هيأة حيوانات مختلفة كالاسد والوعل والطيور واشكال الحيوانات الخرافية كما ظهرت تبدلات في التكوين البنائي للاناء فمثلاً الصنبور الذي يرتبط بالابريق اصبح متصلاً بالبدن وليس في الفوهة وغالباً مايصنع بشكل حيوان ايضاً. اما قوام الزخارف التي مارسها الفنان في العصر الاموي (ش ١٠٦) فكانت بشكل بارز او غائر على سطح الاناء وكانت تستخدم الاشكال النباتية ورسوم حيوانات وطيور وقد تبدو في بعض رسوم الاواني الفضية التي ترجع الى هذه الحقبة الزمنية متأثرة ببعض الاساليب الفنية السابقة للاسلام التي كانت سائدة في البلاد التي فتحها العرب المسلمون. وقد استخدم الفنان ايضاً الكتابة الكوفية وزخارف الرقش العربي التي طبعت التحف المعدنية بطابعها الاسلامي الاصيل المميز.

ان ماعثر عليه من التحف المعدنية لايعادل ما وجد من التحف الخزفية وذلك يعود الى ان المعادن اصابها التلف او فقدت رونقها نتيجة خزنها فيبيعها اصحابها او تصهر لتعاد صياغتها مرة اخرى مما ضيع على الباحثين الكثير من الاشكال والزخارف.

التحف المعدنية في بلاد الجزيرة – مدرسة الموصل

لقد تضافرت عوامل عديدة لتجعل لهذه المنطقة من العالم الاسلامي اهمية كبيرة في انتاج التحف المعدنية الجيدة ومن هذه العوامل ان بلاد الجزيرة كانت غنية بمناجم النحاس الاحمر التي كانت المادة الاولية لصناعة التحف البرونزية والاخرى المصنوعة من النحاس الاصفر، وكذلك امدت بلاد الشام بالخامات اللازمة ايضاً. وفي سنة ١٨٩٦م عثر على مجموعة من الحلي الذهبية والفضية واكثر من ثلاثة آلاف من الدنانير الذهبية في منطقة خضر الياس بالكرخ وينحصر تاريخها بين (٧٦٣–١٠١٤م) محفوظة الان في متحف طابقبوسراي باستنبول. كما عثر في سنة ١٩٣٦ على دراهم فضية. وفي حفائر مشروع مجاري بغداد عثر على الكثير من اللقى المعدنية والخزفية ومنها ابريق من البرونز الاصفر له بدن كروي ورقبة طويلة تزين جزءاً من بدنه اشكال نباتية ومراوح نخيلية وعلى مقبضه من الاعلى رمانة ونقش على رقبة الابريق بالحفر الغائر شريطان زخرفيان مضفوران يضمان حشوات تزينها مراوح نخيلية اما بقية اجزاء الابريق فخالية من الزخرفة وربما يعود الى القرن التاسع الميلادي. كما عثر في سامراء سنة ١٩٦٦ على بعض الاساور والخلاخل الفضية التي تعود الى نفس الحقبة الزمنية مما يدل على اسبقية هاتين المدينتين في انتاج التحف المعدنية قبل ازدهارها في الموصل بوقت طويل.[1]

وكان لتشجيع الحكام للفنون في بلاد الجزيرة اثر كبير في تطور صناعة التحف المعدنية حيث خضعت هذه المنطقة الى حكم الاتابكة في الفترة (١١٢٧–١٢٦٢م) وهم من اسرة زنكي وقد اشتهروا برعاية الفن والفنانين وتمركزت هذه الصناعة في الموصل حيث انتجت العلب والاباريق والمزهريات والقناديل والشمعدانات والمباخر وادوات الفلك والطسوت وصناعات اخرى كالاسلحة والدروع والمعدات الحربية والخوذ.

وقد قلدت الاقاليم الاسلامية الاخرى صناعة التحف المعدنية الموصلية خاصة المكفتة بالفضة او الذهب.

ويقصد بالتكفيت تطبيق او تطعيم المعدن الرخيص كالنحاس الاصفر بمعدن اغلى قيمة منه كالنحاس الاحمر او الذهب او الفضة ويتم ذلك بحفر الزخارف الموجودة على سطح الاناء الرخيص وملء الشقوق الناتجة بالمعدن الثمين ليزيد من جمال التحفة وثمنها. وقد حمل الفنانون من الموصل هذا الاسلوب الى انحاء العالم الاسلامي. ففي الشام صنعت تحف معدنية بأيدي فنانين عراقيين كالابريق المصنوع من النحاس الاصفر ومكفت بالفضة عليه توقيع الفنان حسين محمد الموصلي وتاريخه كذلك شمعدان من النحاس الاصفر

١– عزيز حميد/التحف المعدنية – حضارة العراق جـ– ٩ ص٢٨١–٢٨٢.

مكفت بالفضة من عمل علي بن كسيرات الموصلي. وفي مصر في متحف الفن الاسلامي بالقاهرة توجد قطعتان من عمل فنانين عراقيين الاولى شمعدان من النحاس المطروق وقد كفتت زخارفه وكتاباته بالفضة وهو من عمل الفنان علي بن حسين محمد الموصلي وشمعدان آخر من البرونز المكفت بالفضة والذهب يعود تاريخه الى سنة ١٢٧٠م من عمل الفنان الموصلي عمر بن حاج جلدك.

اما الموضوعات الزخرفية فكانت ترسم على سطح التحف المعدنية بشكل اشرطة مختلفة العرض تتخللها عدد من الجامات المتعددة الفصوص او دائرية تضم داخلها رسوماً مختلفة تحتوي على رسوم نباتية وآدمية وحيوانية وكتابات عربية وزخارف هندسية مكونة من خطوط متكسرة تتداخل مع بعضها مؤلفة اشكالاً شبيهة بالصليب المعقوف او بشكل حرف (T) المزدوج ، وقد وجدت هذه الخطوط ايضاً على التحف المصنوعة للسلاطين الايوبيين.

كما يلاحظ رسم الهلال بين ذراعي شخص يجلس متربعاً ويبدو هذا كأنه شعار لمدينة الموصل او ربما الى اسرة زنكي او لاحد السلاطين المدعو بدر الدين لؤلؤ فقد ظهرت على بعض التحف المعدنية كالابريق النحاسي المكفت بالفضة والمحفوظ حالياً في متحف فكتوريا والذي يعود الى القرن الثالث عشر (ش١٠٧) وعلى قاعدة شمعدان تعود الى عصر بدر الدين لؤلؤ، حيث ان هذا الشعار كان يوضع داخل جامات بيضوية او مفصصة كما وجد على بعض النقود التي تعود الى عصر هذا السلطان وكذلك يظهر على باب سنجار.

ومن أقدم التحف المعدنية الموصلية صندوق في متحف أثينا صنعه اسماعيل بن ورد الموصلي سنة ١٢٢٠م.

ومن التحف المعدنية الموصلية من العصر السلجوقي ابريق مكفت بالفضة يعود تاريخه الى سنة ١٢٣٢م محفوظ في المتحف البريطاني عليه اسم الفنان شجاع بن منعة الموصلي ويتميز بدقة زخارفه واتقانها.

وفي المتحف البريطاني ايضاً دائرة فلكية من النحاس المكفت بالفضة والذهب عليها اسم صانعها الموصلي محمد بن ختلج وتاريخها ٦٣٩هـ ، كما توجد شمعدانات عليها موضوعات زخرفية مسيحية مأخوذة من الانجيل وكانت هذه النقوش مألوفة عند صانعي التحف المعدنية في الشام. وهناك قاعدة شمعدان من صناعة الموصل من عصر بدرالدين لؤلؤ محفوظة في متحف المتروبوليتان تتكون من اربع جامات كبيرة تعبر عن حياة السلطان ، واثنتي عشرة جامة صغيرة فيها رسوم فلكية ورموز للكواكب السماوية ومن

شريطين عليهما نقوش تمثل مناظر الحفلات والاعياد ومجموعة من الرسوم الآدمية تمثل اشخاصاً يتناولون النبيذ من الكؤوس وآخرين يعزفون على آلات موسيقية وفتيات يرقصن. وقد صورت ايضاً على شريط آخر طيور مائية غريبة وتفريعات نباتية كما توجد فيها ست عشرة جامة صغيرة مستديرة تمثل الشعار للشخص الجالس وبين يديه الهلال المذكور آنفاً.

وعرفت بلاد الجزيرة في هذا العصر صناعة التحف المعدنية المطعمة بالمينا ومنها صحن من النحاس الاحمر يعود الى النصف الاول من القرن ١٢م قطره ١٣ سم وقوام زخرفته من الداخل والخارج رسوم آدمية بالمينا ذات فصوص والوان مختلفة محفوظ الان في متحف فرديناند في مدينة اينزبروك.

التحف المعدنية في مصر في العصر الفاطمي

ازدهرت صناعة التحف المعدنية في العصر الفاطمي وقد عثر على الكثير منها في القصور والجوامع وفي حفريات مدينة الفسطاط ولكنها تعد قليلة بالنسبة لما انتج من تحف في هذا العصر اضافة الى ماوجد منها خارج مصر، وأغلب ماعثر عليه كان تشكيلاً على هيأة حيوانات كالمباخر والتماثيل والاباريق. ومن أمثلة ذلك عنقاء كامبو سانتو (مقبرة في مدينة بيزا الايطالية) وهو على هيأة حيوان له رأس عقاب وجسم اسد (ش١٠٨) ارتفاعه ١٠٥سم وطوله ٨٥سم ، ويعتقد انه جزء من فوارة مائية نقلت من مصر قبل حوالي ٨ قرون وهي خالية من التوقيع. وقد زين بدنه بزخارف تشبه قشور السمك وفي منطقة الورك مساحات على شكل كمثرى نقش عليها رسوم صقور وسباع بشكل خطوط لولبية والجامات التي تزيد الظهر تنتهي في طرفيها بكتابة كوفية لها بقية في شريط آخر يدور حول الرقبة. ومن هذه الكتابة عبارة (بركة كاملة ونعمة شاملة).

وتوجد تحفة على شكل ظبي تعود الى العصر الفاطمي ولكنها من صناعة العراق في القرن التاسع الميلادي محفوظة في متحف الفن الاسلامي بالقاهرة ارتفاعها ١٣ سم وطولها ١٥سم. وفي متحف اللوفر ابريق مجوف على هيأة طاووس مصنوع من البرونز له مقبض مجوف ايضاً ونهاية المقبض بشكل نسر عليه كتابة عربية وعلى صدره كتابة بالعربية واخرى باللاتينية تذكر اسم صانعها. ومن التماثيل البديعة الاخرى تمثال لايل مجوف من البرونز وتمثال آخر لاسد وحيوانات اخرى كانت تزين ابدانها بزخارف نباتية وهندسية او كتابات وطيور محفورة وهي شبيهة بالزخارف التي كانت ترسم على الخزف تحت الدهان خاصة النباتية منها. وقد صنعت الاواني والقدور والمباخر والشمعدانات منها شمعدانات صغيرة محمولة واخرى لها قواعد كبيرة.

اما الحلي في هذا العصر فقد عثر على قليل منها في مقابر الفاطميين وقد تعرضت للصهر والتعدين للاستفادة من قيمتها وقد تميزت برقة صناعتها ودقة زخرفتها وكانت تمثل مجموعة من الاساور والقلائد والاقراط من الذهب والفضة المضغوطة او المشبكة كما استخدمت المينا ايضاً في تزيينها ، والزخرفة بالمينا على طريقتين: الاولى تركيب المينا ذات الفصوص ، حيث تصب المينا في حواجز رقيقة ذهبية تلصق على المعدن. والطريقة الثانية تتم بوساطة حفر الزخارف على المعدن وتوضع المينا فيها وتعرض الى النار فتثبت المينا. وقد استخدمت هذه الطريقة بكثرة منذ القرن ١٣م بدلاً من الاولى لانها اقل جهداً ولا تحتاج الى مهارة وتعب كبيرين.

التحف المعدنية في مصر والشام في عصر المماليك (القرن ١٣ – ١٥م)

تنوعت وازدهرت صناعة التحف المعدنية في العصر المملوكي في مصر وسوريا كالابواب والشماعد والثريات الهرمية الشكل التي تعلوها قبة. والصناديق والكراسي والمقالم والمباخر والاباريق وغيرها. واستعملت اساليب شتى في تنفيذ هذه التحف مثل الحفر والتكفيت والتطعيم والتصفيح والتخريم ومزج عدة مواد لصنع تحفة واحدة. ومن منتجات هذا العصر الابواب المصفحة بالنحاس (ش١٠٩) التي تضم اشكالاً زخرفية كالاطباق النجمية التي تميزت بها زخرفة هذا العصر واصبحت صناعة التكفيت مزدهرة بفضل الصناع المهرة الذين نزحوا من الموصل الى دمشق وحلب والقاهرة حيث تعلم منهم الصناع في سوريا ومصر اسرار هذه المهنة خاصة التحف المكفتة بالفضة كما في شمعدان محفوظ في متحف الفنون الزخرفية بباريس من صناعة فنان موصلي هو داؤد بن سلامة وتاريخها ١٢٤٨م صنع في دمشق. وفي متحف المتروبوليتان صينية من عمل احمد بن حسين الموصلي صنعها في القاهرة سنة ١٣٢١م للسلطان المؤيد داؤد بن يوسف وحوض القديس لويس المحفوظ في متحف اللوفر وهو من صناعة الشام في القرن ١٤م (ش١١٠) عليه توقيع محمد بن الزين ويمثل اسلوب مدرسة الموصل.

ان الابداعات التصميمية في تصنيع الاثاث مثل الدكة التي تشبه السرير مصنوعة من الخشب والمطعمة بالعاج والابنوس وعليها طاسات من النحاس المكفت بالفضة جعل الحكام وذوي الجاه يتفاخرون بامتلاك مثل هذه النفائس ، فصنعت الابواب والصناديق من الخشب الفاخر المصفح بالنحاس والمزخرف والمطعم والمكفت بمختلف المواد ولاسيما لحفظ القرآن الكريم كما صنعت المنابر والكراسي للجوامع.

وامتازت التحف المكفتة المملوكية بموضوعات زخرفية ذات طابع خاص متميز وذلك بوجود خط النسخ المملوكي ووجود الشعارات ووريقات الزهور التي تحاكي الطبيعة مثل نبات عود الصليب (Peony) وهو نبات ذو زهرات كبيرة حمراء او قرنفلية او بيضاء اقتبست من التحف الواردة من الشرق الاقصى. كذلك رسوم البط وهو يسير فوق ارضية من الفروع النباتية والوريقات.

كما صنعت طاسات الطعام التي ترتب فوق بعضها في نهاية هذا العصر وكانت تزخرف برسوم هندسية ونباتية وكذلك مواقد النار المكفتة بالفضة. كما صنعت الاسلحة والدروع والمعدات الحربية الاخرى كالخوذ المدببة وكانت جميعها تتميز بالذوق والدقة والجمال.

التحف المعدنية في المغرب والاندلس

لاتختلف صناعة التحف المعدنية التي عثر عليها في الاندلس عن تلك التي صنعت في مصر الا في بعض العناصر الزخرفية التي استعملها الفنانون الاندلسيون وكانت تصنع على اشكال الحيوانات والطيور. ومنها الحصان الذي عثر عليه في اثار مدينة الزهراء وهو مصنوع من البرونز مغطى بزخارف من اقواس دائرية تتصل الواحدة بالاخرى وفيها اوراق شجر نباتية بارزة العروق. وقد صنعت الكثير من التحف المعدنية الاخرى كالمصابيح الصغيرة او المحمولة ذات العنق الطويل والثريات التي وجدت في مدينة البيرة قرب غرناطة وفي الاديرة القبطية في مصر وفي مسجد القيروان. واشهر هذه الثريات هي التي عثر عليها في مسجد الحمراء ومحفوظة الان في متحف مدريد تتميز بزخارفها المخرمة الجميلة (ش-١١١).

وصنعت الصناديق المغطاة بالنحاس المكفت بالفضة، كذلك الاسلحة التي اشتهرت بها مراكز عديدة مثل طليطلة والمرية واشبيلية ومرسية واغلبها تعود الى القرن ١٥ م وتضم مجموعة من السيوف المحلاة بالزخارف الدقيقة والمخرمة والمزينة بالمينا الحمراء والزرقاء والبيضاء وعليها كتابات بالخط الكوفي. ان صناعة التكفيت كانت نادرة، اما الزخارف المستخدمة في التحف المعدنية فكانت معظمها محورة عن الطبيعة تشابه رسوم التحف المعدنية المملوكية. اما في بلاد المغرب فلم تنل التحف المعدنية حظها من الازدهار الذي حظيت به في سائر انحاء العالم الاسلامي، وكان الصناع هناك يقلدون التحف المعدنية العراقية والمصرية واغلب ما كان يصنع للاستعمالات المنزلية كالاطباق والاباريق وغيرها.

((المنسوجات))

في بداية العصر الاسلامي كانت صناعة المنسوجات تتبع اساليب الصناعات التي كانت سائدة في الاقاليم التي فتحها المسلمون والتي كانت على جانب كبير من الازدهار مثل وادي الرافدين ومصر وشرق آسيا وغيرها ، وقد نشأت صناعة الاقمشة والنسيج مع تطور الحضارات وما أنوال الغزل الفخارية والابر الخشبية والعظمية التي كشف عنها في معظم الحفائر العراقية الا دليل مادي على عراقة هذا القطر في صناعة المنسوجات منذ عصور ما قبل التاريخ .

المنسوجات في العصر العباسي

ازدهرت صناعة النسيج في العراق خلال العصور الاسلامية وكانت الثياب البغدادية تصنع من القطن المعروف بجودته . ولشهرة هذه الثياب فأن بعض الاقاليم كانت تصنع ثيابا مشابهة تضع عليها اسم بغداد . كما صنعت المنسوجات العتابية من القطن والحرير ولقيت صناعة النسيج في العصر العباسي تشجيعا خاصة في الاقاليم الاسلامية المختلفة وذلك بعد ان اعتاد الخلفاء والامراء مكافأة رجال الدولة بالخلع الثمينة والملابس الفاخرة .

كما انشأ المسلمون مصانع النسيج في الاقاليم المفتوحة واصبحت لهم الزعامة في تجارة الحرير خلال العصور الوسطى ، كما تشير بعض انواع الاقمشة التي لاتزال باقية لحد الان كالمنسوجات التي يطلق عليها الاوربيون اسم (الدمقس) نسبة الى دمشق و (موسلين) نسبة الى الموصل و (كرنادين) نسبة الى غرناطة . كما انشأوا دور الطراز.

وكان المقصود بالطراز في اول الامر الرسوم او العبارات التي تطرز على ملابس الملوك بشكل يميزها عن ملابس العامة في العصور التي سبقت الاسلام .

واستخدام الطراز كان في العصر الاموي في عصر سليمان بن عبد الملك كما يذكره المسعودي او في عصر هشام الذي صنع على ايامه انواع الوشي واصناف الثياب وهو اول من اتخذ الطراز.

وفي العصر العباسي صار للطراز معنى آخر حيث اصبح شريط الطراز شعار الخلافة . واخيرا اصبحت كلمة الطراز تطلق على المصنع الذي كانت تتم فيه عملية النسيج فعرف بدار الطراز وكان في بغداد في العصر العباسي نوعان من دور الطراز وهي : طراز الخاصة

ويقوم بنسج ما يحتاجه الخليفة والوزراء ورجال الدولة المقربون من المنسوجات ولا يسمح باستعمال أو شراء ما ينسج فيها من قبل عامة الناس.

اما طراز العامة فيمثل المصانع الاهلية التي تمد عامة الشعب بما يحتاجونه من منسوجات. وكان الخليفة يعمد الى نقش اسمه على كل ما يخرج من دور الطراز الخاصة ويضاف اليه احيانا اسم الوزير لما يتمتع به من مكانة مرموقة خاصة ايام ازدهار العصر العباسي.

وكان يشرف على ادارة دور الطراز الخاصة والعامة شخصيات لها مكانتها الادارية والسياسية وسمي صاحب الطراز ومهمته النظر في شؤون العمل والعمال وادامة الالات المستخدمة يساعده المحتسب ورئيس العمال وشخص ثالث يقوم بحفظ ما تنتجه هذه الدور. وكان صاحب الطراز يتمتع بامتيازات خاصة كأن يخصص له ملابس شهريا ويجهز بكافة اللوازم عند سفره كما ان له مكانة ايضا في البلد الذي يحل فيه ضيفاً حيث يلاقي التكريم مدة اقامته هناك وقد تبارى الخلفاء المسلمون وامراؤهم خلال العصور الاسلامية في صناعة كسوة الكعبة السنوية واعتنوا بخطها وزخرفتها وتطريزها بخيوط الذهب والفضة واصبحت ستارة الكعبة من الاعمال الفخمة في الصناعة النسيجية. وكان الخلفاء يهتمون بكتابة اسمائهم على هذه الكسوة تخليدا لذاكرهم. كما كانت هناك عبارات مميزة تكتب على الاقمشة تضم اسم الخليفة والفنان وعبارات الدعاء واسماء المعاصرين للخليفة واسم دار الطراز الذي قام بصنعها. وكان الخلفاء يحتفظون باعداد كبيرة من الجبات يرتدونها في مناسباتهم المختلفة ولكن للاسف لم يصلنا من الانسجة العباسية النفيسة الا القليل: منها قطعة مطرزة بالحرير المختلف الالوان عليها كتابات تضم اسماء الخلفاء العباسيين. وهناك قطعتان بزخارف جميلة تشمل الاولى دوائر كبيرة تضم رسوم فيلة متقابلة وفوقها سباع وبين الدوائر زخارف نباتية وحولها شريط دائري فيه كتابة بالخط الكوفي يلاحظ فيها كلمات (ابو النصر) و (البركة من الله) و (مما عمل في بغداد) (ش ١١٢) وهي محفوظة الان في احدى كنائس مدينة ليون في اسبانيا. أما القطعة الثانية فمحفوظة في متحف الفن الاسلامي بالقاهرة وقوام زخارفها شريط به رسوم بط بالالوان المتعددة (الاحمر والازرق والاصفر والاخضر) ويحف بالشريط سطران من كتابة بالخط الكوفي. كما استخدمت رسوم اسطورية على بعض المنسوجات العراقية التي تعود الى القرن ١٢ كما في قطعة من الحرير (ش ١١٣). واهم مراكز صناعة المنسوجات في العراق في هذا العصر المدائن والانبار حيث كانت تصدر انتاجها الى الخارج. وكذلك الحيرة وواسط فقد اشتهرت الاخيرة بانواع المنسوجات الصوفية والقطنية منذ العصر الاموي ومدينة النعمانية التي كانت

لمنسوجاتها الحريرية والكتانية والصوفية شهرة كبيرة. كذلك تميزت هذه المدينة بصناعة الاكسية التي يضرب بها المثل في الجودة والجمال.

واشتهرت مدينة الابلة في البصرة في صنع الثياب الرقيقة المصنوعة من نسيج القصب كما ان الكوفة كانت مشهورة بصناعة الخمار والكوفية التي تنسج من الخز[1] اضافة الى الالبسة الاخرى ولم تقتصر صناعة النسيج على المناطق الوسطى والجنوبية من العراق وانما كانت لها مراكزها المهمة ايضا في شماله. فقد كانت الموصل في مقدمة تلك المراكز فصنعت القطيفة والمنسوجات الكتانية وكانت لها شهرة كبيرة في هذا العصر اذ ذاع اسم منسوجاتها في جميع انحاء العالم.

المنسوجات في مصر في العصر الفاطمي (القرن ١٠ – ١٢م)

اهتم الخلفاء في هذا العصر اهتماما كبيرا بصناعة النسيج وبدور الطراز وصنعت انواع من المنسوجات الحريرية الخاصة بالخليفة وقد اتبع الاسلوب العباسي في تنظيم الكتابة والزخارف المختلفة حيث كانت الكتابات الكوفية في اول الامر عباسية كما تبدو في قطعة بمتحف المتروبوليان عليها اسم الخليفة الفاطمي العزيز بالله (٩٧٦–٩٩٦م) وقد كتب بحروف رشيقة منسوجة من الحرير الاصفر تحدها خيوط زرق. ثم تطورت الكتابة بعد ذلك فاصبحت بالخط الكوفي المشجر، وكانت نهايته تتصل بمراوح نخيلية وبتفريعات نباتية (ش ١١٤).

وهناك نماذج عديدة من المنسوجات تمثل الاسلوب الفاطمي موزعة في متاحف العالم نذكر منها قطعة من نسيج الكتان عليه رسوم مطبوعة تمثل رسوم اسود باللونين البني والذهبي داخل مربعات محددة.

وقد استخدمت في بعض الاحيان في رسم الزخارف على الاقمشة الكتانية خيوط مصنوعة من الجلد المطروق بالذهب كالقطعة الكتانية من مدينة تنيس التي اشتهرت بصناعة هذا النوع من النسيج المزين بالخيوط الذهبية وهي ملابس خاصة بالخلفاء.

وفي القرن الثاني عشر للميلاد حلت الحروف اللينة محل الكتابات الكوفية وكثيرا ما كانت الكتابة النسخية تتشابك مع الزخارف النباتية بشكل رقيق وبارع.

وقد استخدمت الزخارف المرسومة والمطبوعة على المنسوجات المختلفة ومنها قطع من نسيج القطن مصبوغة بالطريقة الصينية وهي ان يطبع النسيج طبعا سريعا من جانب

---

١ – الخز: نسيج سداه من الحرير ولحمته من الصوف.

واحد. وتميز هذا النوع بالكتابة الكوفية الجميلة المرسومة بالذهب وكانت الرسوم تحدد باللون الاسود. وقد استخدمت الاقمشة المطبوعة عوضا عن تلك الاقمشة الغالية ذات الزخارف المنسوجة أو المطرزة بخيوط الذهب واستخدم الفنانون فيها اختاما خشبية وكانت الزخارف تغطي جميع الثوب تقريباً ومنها قطعة محفوظة في متحف المتروبوليان تتكون زخارفها من اشكال نباتية مطبوعة بالذهب.

المنسوجات في عصر الايوبيين والمماليك

ازدهرت صناعة المنسوجات الحريرية في مصر في هذه الفترة واهتموا بتطريزها وقل الاهتمام بالمنسوجات الكتانية التي زاولت مصر صناعتها منذ آلاف السنين.

وكانت الزخارف التي نقشت على الانسجة الايوبية والمملوكية تشابه نقوش التحف المعدنية المعاصرة لها واستخدم الخط العربي اللين والكوفي في تزيين المنسوجات بكتابات دعائية. وأقبل النساجون على استخدام الزخارف النباتية والهندسية التي تتضمن المثلثات والدوائر والمعينات.

ومن المنسوجات التي تعود الى القرن الثالث عشر الميلادي قطعة من الحرير الاصفر محفوظة في متحف الفن الاسلامي في القاهرة وقوام زخارفها اشرطة متعرجة تضم بينها جامات ومناطق بيضوية فيها رسوم ازواج من الطيور بعضها عقبان ورؤوسها متقابلة ويبدو تأثرها بالاساليب السلجوقية التي كانت شائعة في شرق العالم الاسلامي ويعتقد ان هذه القطعة من صناعة الشام. ومن المنسوجات المملوكية قطع من الحرير عليها زخارف صينية الطراز (ش ١١٥) وعلى بعضها اسم السلاطين المماليك وعلى البعض الآخر حروف بالخط الكوفي المربع.

وفي عصر المماليك ازدهر اسلوب طباعة الاقمشة ومن امثلة ذلك قطعة يرجع تاريخها الى مابين القرنين الثالث عشر والرابع عشر للميلاد تتألف زخارفها من اشكال معينية تضم وريدات وفروعا نباتية باللون الاحمر او الازرق او البني.

المنسوجات الاسلامية في الاندلس

لقد ادخل العرب نظام الطراز الى الاندلس فازدهرت على ايديهم صناعة النسيج وصارت مراكز عديدة فيها لهذه الصناعة مثل المرية.

كما اشتهرت مدن مالقة وغرناطة واشبيلية ومرسية وقد ادخلت تربية دودة القز[1] الى الاندلس منذ القرن العاشر الميلادي واصبحت تصدر الحرير الى العالم الاسلامي وبقية انحاء اوربا.

والمنسوجات الاسبانية قريبة الشبه من الفاطمية ويوجد بعض النماذج منها مطرز بخيوط الذهب وقوام زخارفه شريط فيه جامات تضم رسوماً لاشخاص جالسين وسباع وطيور اما الكتابة فقد جعلت بشكل اسطر.

ومن المنسوجات الاندلسية قطعة من الديباج نسجت بالحرير وخيوط الذهب تعود الى القرن الثاني عشر او الثالث عشر قوام زخرفتها اشرطة من الكتابة الكوفية التي رتبت بشكل دوائر تضم اشكال حيوانات بوضعية متعارضة وتلتفت برؤوسها وبين الدوائر نجوم ذات ثمانية رؤوس يحيطها زخارف نباتية (ش ١١٦).

وفي القرنين الرابع عشر والخامس عشر للميلاد انتجت مجموعة من المنسوجات تشابه زخارفها رسوم قصر الحمراء ولذلك تسمى طراز الحمراء الذي يمتاز باستخدام الاطباق النجمية والاشرطة المتداخلة والجدائل والاشكال الهندسية واشرطة من الكتابة الكوفية المتشابكة وقد أقبل الناس عليه كثيراً.

((الخط العربي))

مهما تعددت الروايات[٧٥] وكثرت الوثائق التاريخية في اثبات اصل الخط العربي[٢] والاصح الكتابة العربية و [illegible] نفسنا قاصرين في اعطاء الرأى الجازم عن اصل الخط العربي وذلك لاختلاف الروايات وتحير بعض المؤرخين ومبالغة الاخرين وصار العديد من الروايات يستند الى الغيبيات ويفتقر الى الدليل الموثق .

اما ما توصلت اليه البحوث والدراسات الموثقة بالدلائل من النقوش والنصوص الاثرية فانها تثبت ان الخط العربي انحدر من الخط النبطي ثم تطورت اشكال حروفه الى ان اصبحت بالشكل الذى وافق لغة العرب واصبح خطهم .

والانباط في الاصل بدور رحل انتقلوا طلبا للعيش ثم استقروا في منطقة الهلال الخصيب ليحترفوا الزراعة والتجارة . وقد استمرت دولة الانباط ثلاثة قرون محصورة بين القرن الثاني قبل الميلاد والقرن الثاني الميلادى وكان الحارث الثالث من اشهر ملوكهم (٨٧-٦٢ق.م) وقد استولى على مدينة دمشق سنة (٨٥ق.م) وقد انتهت دولتهم على يد الجيوش الرومانية سنة (١٠٦م) . اما اشهر مدنهم فهي البتراء العاصمة وهجر (مدائن صالح) والعلا (شمال الحجاز) وبصرى (جنوب الشام) التي تأثرت بالديانات الارامية والهلنستية والاسلامية .

وقد تطور الخط النبطي من الخط الارامي في القرن الثاني قبل الميلاد واستطاع ان يتخذ له طابعا مميزا ويصبح خطا مستقلا في القرن الاول الميلادى .

يرجع اول ما اكتشف من النقوش النبطية التي تربو على ما يقرب من ثلاثة الاف نقش الى سنة (٣٣ق.م) واخرها نقش النمارة سنة (٣٢٨م) (ش١٧٠) وقد وجد على شاهد قبر الملك العربي امرىء القيس الذى يقع في النمارة وهي مدينة من اعمال حوران وهو محفوظ حاليا في متحف اللوفر . وقد عثر على عدد من الكتابات النبطية في مناطق عديدة كالين ومصر ويعزى وجودها الى التجارة بين هذه الاقطار وشمال الجزيرة العربية .

ومن مميزات الخط النبطي ان عدد حروفه ٢٢ حرفا وان الكتابة فيه تبدأمن اليمين الى اليسار مشابهة بذلك الكتابة المنحدرة عن القلم السامي القديم والقلم الارامي كما اعتمدوا على القلم الارامي في جميع الحروف عدا اللام والسين ، وعرفوا الفصل والوصل وقد كان هذا قليلا في نقوشهم السابقة الا انه ازداد في النقوش المتأخرة وقد استخدمت اربعة طرائق للوصل وهي :-

١ . الاسناد : حيث يسند الحرف الى ساق الحرف الذى يليه كما في كلمة بر ( ) .
٢ . الربط : حيث يربط الحرف بذيل الحرف الذى يليه كما في كلمة بر ايضا ( ) .
٣ . المزج : ويتم بمزج اللام بحرف الالف مثل ( ) .
٤ . طريقة النظم او النضد : وتتم بنظم الحروف برباط يجمع بينها من الاسفل كما في كلمة عبيد ( ) .

ومن المميزات الاخرى ان الخط النبطي خال من التنقيط وعليه فان بعض حروفه تمثل اكثر من لفظ واحد .

وقد اسقط حرف الالف من بعض الاسماء فكتب (حرث) بدلا من حارث وكتابة (ثلثين) بدلا من ثلاثين .

وقد عدل الانباط في أشكال الحروف المقتبسة مما جعل للبعض منها صورا بعيدة عن الاصل كما انهم ابتكروا لبعض الحروف صورا جديدة تسهيلا لعملية الفصل والوصل .

وقد اقتبس الخط العربي اصوله الاولى من الخط النبطي وهناك نقوش عثر عليها في عصر سبق الاسلام تضمنت خطوطا عربية في مناطق عديدة من بلاد الشام وقد سميت هذه النقوش باسماء الاماكن التي وجدت فيها وهي :-

١ . نقش زبد :وتقع هذه المنطقة جنوب شرق حلب بين قنسرين والفرات محفوظ حاليا في متحف بروكسل وتاريخه يرجع الى (٥١٢) للميلاد وجد على لوح كبير من الحجر كان يغطي كنيسة (مار سركيس) ويتضمن النقش اسطرا كتبت باللاتينية والسريانية وسطرا واحد بالعربية . (ش١٧١)

٢. نقش اسيس : وينسب اسمه الى جبل يقع على بعد ١٠٥ كيلو متر جنوب شرق دمشق ويضم نصا عربيا من اربعة اسطر . (ش ١٧٢) .

٣. نقش حران : ويرجع تاريخه الى (٥٦٨م) عثر عليه في خرائب كنسية تقع في منطقة حران منقوش على لوح من الحجر يعلو باب الكنيسة ومكتوب باللغتين اليونانية والعربية . (ش ١٧٣) .

٤. نقش ام الجمال الاول : وعثر في موقع كنيسة تسمى الكنيسة المزدوجة ويضم حروفا عربية اقرب الى النبطية عن بقية النصوص العربية المكتشفة وينسب تاريخه الى بداية سنة ٢٥٠م ويتألف من خمسة اسطر بالعربية . ويبين من دراسة هذه النقوش انها تضم جميع الحروف العربية عدا الزاي والصاد ربما لقلة هذه النقوش ، بحيث لم يكن كتابتها بحاجة لاستخدام هذين الحرفين .

٥. نقش أم الجمال الثاني : وعثر عليه في الموقع السابق منقوش على حجر وهو احدث نص عربي عثر عليه حتى الان وتاريخه يعود الى اواخر القرن السادس الميلادي . (ش ١٧٤) .

وقد قلد العرب كذلك الانباط في حذف الالف من بعض الاسماء مثل ابراهيم واسمعيل ، كما احتفظ العرب بنفس عدد الحروف النبطية وبنفس ترتيبها الابجدي .

وقد عرف الخط العربي قبل عصر الرسول بالخط النبطي . كما عرف بالحيري والانباري لانه جاء الى الجزيرة العربية مع تجارة اقليم السواد عن طريق دومة الجندل . وعند وصول الخط الى مكة والمدينة عرف بأسميهما اي الخط المكي والخط المدني .

وكان العرب قبل الاسلام يعنون بتسجيل الاحداث اليومية كتثبيت الصكوك في المعاملات التجارية وكتابة المواثيق وتثبيت الاحلاف . وكانت لهم رسائل متبادلة فيما بينهم . وكان هناك من يجيد الكتابة والقراءة عند ظهور الاسلام واشهرهم سبعة عشر رجلا : منهم عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن ابي طالب ومعاوية بن ابي سفيان . وعندما انتقل مركز النشاط السياسي[٦] الى العراق في زمن عمر بن الخطاب وعلي بن ابي طالب انتقلت الخطوط المكية والمدنية الى البصرة والكوفة وعرفت هناك بالخط الحجازي وفي الكوفة تهندست أشكاله واستقامت حروفه وتميز عن الخط الحجازي في ان غلب عليه الجفاف واطلق عليه اسم الخط الكوفي . ومن الكوفة انتشر هذا الخط اليابس الى ارجاء العالم الاسلامي حيث تكتب فيه المصاحف وتحلى به المباني والنقود ، في حين ظل الخط الحجازي اللين في خدمة الدواوين لمرونته وسرعة كتابته .

وهناك ثلاثة انواع من الخط الكوفي وهي : الخط التذكاري الذي يستخدم في التسجيل على المواد الصلبة كالاحجار والاخشاب لتثبيت الايات القرانية والدعائية وتاريخ الوفيات ... الخ ويتميز هذا النوع بجماله وخلوه من النقاط وبترابط حروفه والاسراف في زخرفته وصعوبة قراءته .

والنوع الثاني : الخط الكوفي المصحفي الذي تجمع حروفه بين الجفاف والليونة واستخدام في كتابة المصاحف طوال القرون الثلاثة الهجرية الاولى . اما النوع الثالث وهو خط التحرير ، فحروفه لينة مخففة ومطواعة في يد الكاتب استخدم في الاغراض اليومية والاغراض العلمية .

استمر تطور الخط العربي في العصر الاموي فاستخدمت الكتابة كجزء من الزخرفة على العمائر والمسكوكات والتحف . وفي هذا العصر تم اعجام القرآن حيث كثر الخطأ في قراءته بعد دخول الاعاجم الى الاسلام فأوعز زياد بن ابيه والي البصرة آنذاك الى ابي الاسود الدؤلي للقيام بتشكيله فتم له ذلك .

وقد فرضت لغة القرآن نفسها في البلاد المفتوحة واصبح البعض منها يكتب لغته بحروف عربية كما في الهند وتركيا وايران . وانتشر الخط في ارجاء العالم الاسلامي واصبحت له مدارس واساليب خاصة في بعض الاقاليم الاسلامية ومن اشهر خطاطي

العصر الاموي : ابن الهياج ومالك بن دينار وقطبة الذي يعزى اليه استخراج الاقلام الاربعة : الجليل ، الطومار ، الثلث والثلثين واشتقاق بعضها من بعض .

مدرسة بغداد :

ان ماقدمه العصر الاموي للكتابة العربية لايقاس بغزارة عطاء المدرسة العباسية في هذا المضمار ، فقد ازدهرت بغداد ووصلت عصرها الذهبي في العصر العباسي واصبحت قبلة العلماء ورجال المعرفة والفن ، واحتل الخطاطون المقام الرفيع فيها . ومن بغداد انتشرت اصول الخط البديع المنسوب ، الذي تميز فيها بجماله ورونقه .

ثم جاء بعد قطبة الضحاك بن عجلان الكاتب في زمن ابو العباس (اول الخلفاء العباسيين) الذي زاد على قطبة . ثم جاء بعده اسحاق ابن حماد الكاتب في عصري المنصور والمهدي وكانا يخطان (الجليل) وهو الطومار او قريب منه .

واخذ ابراهيم الشجري عن اسحاق الخط الجليل واخترع منه قلما اخف منه سماه (قلم الثلثين) ثم اخترع من الثلثين قلما سماه «الثلث» . واخوه يوسف الشجري الذي اخترع من الجليل خطا في عصر المأمون سمي «الرياسي» .

وفي هذا العصر اخذ الكتاب يتفاخرون بتحرير خطوطهم فظهر «الاحول المحرر» الذي جعل الخط العراقي الذي كانت تكتب به المصاحف انواعا منها قلم الطومار . ثم انتهت اجادة الخط وتحريره في القرن التاسع الميلادي الى ابن مقلة وهو ابو علي محمد ابن علي بن مقلة (وكان وزيرا في عصور المقتدر والقاهر والراضي) والى اخيه عبد الله الحسن وقد كان والدهما خطاطا . ولد ابن مقلة في بغداد سنة ٨٨٩م وعاش فيها . كان ميالا

للادب واللغة وله المام واسع بالهندسة مما ساعده على تطوير خطه فهندس الحروف واجاد في تحريرها ، وعنه انتشر الخط في مشارق الارض ومغاربها ووضع القوانين لكل حرف من حروف الخط العربي . وقد برع في نوع من الخط عرف بالدرج وكما اجاد اخوه خطا عرف بالنسخ .

ومن تلاميذ ابن مقلة البارزين محمد بن السمساني ومحمد بن اسد الذي اخذ عنهما ابو الحسن علي بن هلال المعروف بابن البواب ، وقد جمع ابن البواب خطوط ابن مقلة في النسخ والثلث (ش ١٧٥) اللذين قلبهما من الخط الكوفي ونقحهما وصححهما ووجههما فاستقام بفضله اسلوب ابن مقلة من كل الوجوه وخلد اسمه . وقد عد اكبر كتاب الخط بعد ابن مقلة واليه ينسب ابتداع الخط الريحاني [illegible] وانشأ مدرسة للخط عملت حتى زمن ياقوت المستعصمي آخر خطاطي المدرسة البغدادية . يعرف هذا الخطاط بقبلة الكتاب وهو الشيخ جمال الدين ياقوت المستعصمي وهو من مماليك الخليفة المستعصم آخر خلفاء بني العباس .

لقد كان ياقوت خازنا بدار الكتب في المدرسة المستنصرية باشراف المؤرخ الكبير ابن الفوطي وكان يجتمع بالادباء والعلماء والوزراء ونال تشجيعا ورعاية من قبلهم . وبرع في تجويد الخط وهذب اوضاع الحروف وبلغ بالخط الى اوج جماله والابداع في تراكيبه (ش ١٧٧) وكان لمدرسة بغداد بفضله السيادة في العالم الاسلامي حيث سعى الخطاطون اليها يقلدون خطوط المستعصمي ويسيرون على نهجه حتى ظهر الحافظ عثمان بن علي التركي فبرز ياقوت في كتابة النسخ . واشتهر المصحف المعروف باسمه مصحف حافظ عثمان . وتوفي المستعصمي في بغداد سنة ٦٩٨هـ تاركا اعمالا جليلة ومصاحف في غاية الروعة .

وبعد الغزو المغولي سنة ١٢٥٨ لبغداد وسقوطها على ايديهم انتهى دور هذه المدينة العظيمة في القيادة الحضارية الاسلامية فانتقلت مراكز النشاط العلمي والفني الى اماكن اخرى ، وكانت مصر وتركيا من المراكز التي اهتمت بتجويد الخط العربي بعد بغداد .

المدرسة المصرية :

امتد تأثير مدرسة بغداد الى مصر بحملها خطاط هو الحسن بن علي الجويني المعروف بالبغدادي وكان يلقب بفخر الكتاب .

ان اقدم مصحف في مصر من جامع عمرو بن العاص كتب بالخط الكوفي على الرق وهو خال من الشكل والتنقيط . ومصحف آخر مكتوب على الرق ايضا بقلم ابي سعيد الحسن البصري سنة ٦٩٦م وهو مضبوط بالشكل على طريقة ابي الاسود الدؤلي .

وتقدم الخط والزخرفة تقدما ملموسا في مصر في العصر الطولوني ، فقد ذاعت شهرة الخطاط طبطب الذي كان يكتب باسلوب معاصريه في العراق وخطاط آخر عرف بابن الكاتب .

كما ان الخطوط العربية كانت تشكل اشرطة في الجوامع منذ هذا العصر كالموجودة في جامع ابن طولون واستمر استخدامها في العصر الفاطمي . ففي هذا العصر نافست مصر العراق في الانتاجات الفنية للخط والزخرفة وكان اصحاب الاقلام يتمتعون بحضوة كبيرة لدى الخليفة الفاطمي ولاعجب فان الدولة الفاطمية اهتمت بالترف والزينة حيث زينت القصور والمساجد والاثاث بالاعمال الخطية الى جانب الزخرفة (ش ١٧٨) .

واستمرت الخطوط في العصور الاسلامية في مصر تنفذ على الخشب وادخلت الخطوط اللينة في تحشية الاعمال الخشبية الرائعة التصميم التي تميزت بها .

ومنذ اوائل القرن الثالث عشر للميلاد ، بطل استخدام الخط الكوفي في كتابة المصاحف وحل محله النسخ المملوكي في مصر والخط النسخي الاتابكي في بلاد الجزيرة وآسيا الصغرى . وقد تأثرت مصر في العصر الايوبي بمؤثرات سلجوقية ومن اقدم هذه المؤثرات ، الكتابات النسخية واحدة بأسم محمود ابن زنكي ، واخرى بأسم صلاح الدين يوسف بالقدس .

واستخدم المماليك اشكالا من الخطوط الكوفية للزخرفة كما هو موجود في مسجد الغوري والسلطان قلاوون ومدرسة السلطان حسن ، ولكن كادت ان تنقرض منذ اواخر العصر المملوكي . كما استخدم المماليك الزخارف الخطية الهندسية واكثروا من استخدامها في مبانيهم . واهتموا بالتأليف وتدوين المخطوطات وكان من مشاهير خطاطيهم شمس الدين بن ابي رقية محتسب الفسطاط . ووصل عندهم الخط المدور الذي استخدم في كتابة المخطوطات منزلة متطورة وخاصة في المصاحف . وما احدثه التطور في الخط والزخرفة في عصر المماليك كان له اثره الفني في بلاد الشام والاندلس التي عبر عن طريقها الى اوربا .

((اثر الفن في بلاد الغرب))

لقد اثرت الفنون الاسلامية منذ العصور الوسطى في الفنون الغربية وانتقلت الاساليب المعمارية والزخرفية ومعظم اساليب الفنون التطبيقية الاخرى الى بلاد الغرب وكان ذلك بفضل عدة عوامل هيأت الظروف الملائمة لهذا الانتقال وكان اول هذه العوامل الحضارة العربية الاسلامية التي قامت في الاندلس لثمانية قرون وكان لاشعاعاتها الفضل الكبير على اوربا في مختلف المجالات العلمية والادبية والفنية . فضلا عن أن العرب حكموا صقلية وجنوب ايطاليا فنقلوا بذلك تراثهم العربي الحضارى الى هناك ومنه الى انحاء اوربا . كما ان الحروب الصليبية التي قامت بين الشرق والغرب كانت عاملا مهما في انتقال الفنون المعمارية والتطبيقية الى الغرب .

وكان للحركة التجارية الكبيرة بين الشرق والغرب ، ومكان العالم العربي الاسلامي فيها بوصفه الجسر الذى يتوسط بين الشرق الاقصى ، وبلاد الغرب الطامعة في كنوز الهند على وجه التحديد اهمية ذات دلالة حضارية في نقل الفنون المعمارية والتطبيقية العربية ـ الاسلامية الى الغرب . وكانت تجارة المسلمين تجوب بحار الصين واسيا الوسطى وبحر البلطيق ولاهمية دورهم في شؤون التجارة فقد ضربت نقود عليها كتابات عربية والتاريخ الهجرى في بلاد اوربية كانوا يتعاملون بها مع العرب حتى القرن ١٣م[١]. وكانت بولندا من اهم الاسواق لتصريف البضائع والتحف الاسلامية وقد اقبل الصناع البولنديون على تقليد المنتجات الفنية الاسلامية ولا سيما المنسوجات والتحف المعدنية والحلي والاسلحة .

ولحجاج بيت المقدس من المسيحيين الاوربيين دور كبير في نقل التراث العربي الاسلامي من خلال الهدايا التي كانوا يحملونها الى اوطانهم بعد عودتهم من فلسطين .

اما الدولة العثمانية فقد نشرت سلطانها على آسيا الصغرى وامتد الى جزر البلقان ويبدو تأثر هذه الشعوب بالاساليب التركية واضحا في عمائرهم وفنونهم الصغرى .

ويبدو تأثير الفن الاسلامي في بلاد الغرب في مظاهر فنية عديدة كان من ابرزها في العمارة والزخرفة .

لقد اقتبس الاوربيون عن طريق الحروب الصليبية الحصون واساليب بنائها الدفاعية من سوريا ومصر ويتجلى ذلك في الابراج والممرات الداخلية الملتوية والمزاغل .

وفي صقلية اقام النورمانديون العمائر متأثرة بالعمارة العربية الاسلامية بتصميمها واعمدتها واقواسها وفي المقرنصات (ش١٨٣) والزخارف ، كما تبدو في جنوب ايطاليا

حيث تظهر جميعا في كنيسة مدينة لوفوف ويعود تاريخها الى النصف الثاني من القرن الرابع عشر للميلاد . وفي انكلترا اقتبسوا الارابسك وكانت زخارفه ترسم بشكل بارز في عمائرهم .

اما في مجال الفنون التطبيقية فقد قلد الاوربيون الكتابة الكوفية مظهرا زخرفيا دون الالتفات الى مضمونها ومعانيها ويبدو ذلك في صليب ايرلندى مصنوع من البرونز كتبت عليه عبارة بأسم الله وهو محفوظ الان في المتحف البريطاني ، وفي المتحف نفسه ضربت نقود لملوك اوربيين عليها آيات قرآنية بالخط الكوفي لا ينتظر ان يستخدمها ملوك مسيحيون ولكن ربما لم يفقه معناها فاستخدمت على انها زخارف فقط .

وتبدو التأثيرات الاسلامية عند صناع التحف الزجاجية في ايطاليا وفي اوربا الوسطى حيث ان ايطاليا ورثت هذه الصناعة بعد اضمحلال الدولة الاسلامية منذ القرن الخامس عشر ، واقبل صناع البندقية على تقليد التحف الزجاجية الاسلامية وخاصة المموهة بالمينا . كما تبدو تأثيرات اسلامية عربية عند هؤلاء في الحفر على الخشب والعاج وصناعة التجليد والتذهيب .

وقد اهتم الاوربيون بالمنسوجات العربية الاسلامية منذ القرن التاسع الميلادى واستطاع الايطاليون ان يأخذوا اسرار صناعة النسيج من الفنانين المسلمين عندما كانوا [illegible] من اسلوب المآذن المغربية . كما اعجب الايطاليون بظاهرة معمارية جميلة شاعت في مصر على عهد المماليك وهي تبادل طبقات افقية من احجار قاتمة اللون مع أخرى زاهية استخدموها في الواجهات الرخامية المخططة التي شيدت في بيزا وفلورنسا وجنوا ومسينا . وفي جنوب فرنسا استخدمت العقود المفصصة والمفصصة الملونه والزخارف المشتقة من الكتابات العربية (ش١٨٤) والزخارف المظفورة والمساند الخشبية . كما استخدمت في بولندا المقرنصات والارابسك ووريقات الشجر ذات الفصوص الثلاثة

يشاركونهم العمل في معامل النسيج الموجودة في صقلية وجنوب ايطاليا ، وخاصة المنسوجات الحريرية التي كانت تظهر عليها مواضيع شرقية وكتابات عربية ومنها عباءة التتويج للملك روجر التي نسجت في صقلية عام ١١٣٤م . كما قلد الايطاليون صناعة السجاد الاسلامي منذ القرن الرابع عشر واحتفظوا بالاساليب الاسلامية في زخارفه لمدة طويلة .

اما الخزف الاسلامي فكان له الاثر الكبير في تطور صناعة الخزف في اوربا فقد ازدهر الخزف ذو البريق المعدني على وجه الخصوص في الاندلس ابان الحكم العربي الاسلامي وبعد زوال دولة العرب بقي الكثير من فنانيهم يعملون لحساب البابوات والاسر النبيلة فانتقلت اساليب الخزف الصناعية والزخرفية الى الاسبان واستطاعوا ان يأخذوا اسرار صناعته من الخزافين العرب (ش١٨٦) .

وتبدو التأثيرات الاسلامية في التحف المعدنية الاوربية خاصة في المانيا حيث صنعت بعض الاشكال المعدنية بهيأة الحيوانات (ش١٨٥) ونشأت في البندقية مدرسة عرفت بالمدرسة الشرقية كانت تنتج التحف المكفته بالفضة ذات التأثيرات الاسلامية .

وفي مجال التصوير فقد تأثر الرسام جنتللي بلليني (الذى ورد ذكره سالفا) بالفنون الاسلامية فظهرت تأثيراتها في بعض صوره ومنها الصورة التي تحمل عنوان (موعظة سانت مارك في الاسكندرية) استخدم فيها ازياء اسلامية وحيوانات مألوفة في الشرق الاسلامي . كذلك نقل هذا الفنان الكثير من التأثيرات الى باقي الفنانين الايطاليين في عصر النهضة .

كما ظهرت تأثيرات من الفنو التركية الاسلامية في انتاج الفنان الالماني هانس هولباين (١٤٩٧-١٥٤٣م) وكان رساما ومزخرفاً من الطراز الاول . استخدم في صوره الملابس المتأثرة بزخارف الارابسك . كما يتجلى تأثير رسوم السجاجيد التركية في رسومه ايضا .

وفي سقف الكبلا بلاتينا فى باليرمو في صقلية ويعود الى القرن ١٢ الميلادى صور رقص وشراب فيها صورة راقصتين في وضع متماثل تشبه صورة الراقصتين في قصر الجوسق . كما تبدو في المخطوطات المسيحية الدينية الشرقية تصاوير مرسومة بالاسلوب الاسلامي منها كتاب (انجيل طفولة المسيح) وتاريخه ١٢٩٩م كتبه مسيحي في ماردين من بلاد الجزيرة . وفي فلورنسا مخطوط من الانجيل تزوقه تصاوير ذات طابع اسلامي .

واهم ما اقتبسه الغرب عن العرب الشارات وتسمى (الرنوك) وهي مناطق دائرية او بيضوية او مفصصة تحمل علامات او شارات تدل على ان صاحبها يشغل وظيفة

معينة في البلاط فمثلا السيف علامة للمكلف بشؤون الاسلحة والكأس للمختص بامور الشراب ...الخ (ش١٨٧) . هذه الشارات شاعت في عصر الايوبيين في مصر كما ان بعض الشارات اتخذها سلاطينهم شعارا خاصا بهم مثل النسر الذى كان شعارا لصلاح الدين الايوبي . والاسد شعار الظاهر بيبرس واستخدمت هذه الشارات في مختلف المجالات الفنية والعمائر والمنتوجات والاواني الزجاجية (ش١٣٩) والفخارية .

لقد ورث المسلمون الشارات (الرنوك) عن القدماء ولكونها مألوفة عندهم لم يلتفت اليها مؤرخو العصور الوسطى . فقد عرف الحثيون النسر[٢] ذا الرأسين واتخذوه شعارا لهم واستخدمه بعد ذلك المسلمون في العصر السلجوقي شعارا ايضا (ش١٨٨) ثم اقتبسه الاوربيون من المسلمين فاصبح شعارا للامبراطورية الرومانية المقدسة في القرن الرابع عشر للميلاد .

وقد اهتم الاوربيون (بالرنوك) بعد ذلك فنظموها في سجلات واصبحت لها تقاليد خاصة واصول متبعة ولا يحق لاسرة او لاية جهة ان تستخدم شعارا استخدمه غيرها .